الفصل الثالث

الملك عبد العزيز ومصادر الصورة الذهنية

لقد استطاع الملك عبد العزيز أن يخلص ببلاده حرة تملك كل معنى للحرية فى أرضها وبحارها وسمائها. لم يضع الاستعمار قدما واحدة على شبر من أرض هذه المملكة فى أيام سلم أو حرب

معالى الشيخ عبد العزيز التويجرى من كتاب «لسراة الليل هتف الصباح».

obeikandl.com

obeikandl.com

الفصل الثالث

الملك عبد العزيز
ومصادر الصورة الذهنية

إن دراسة الطابع العام للأمة مدينة بوجودها لعلماء علم النفس التقليدي، وبصفة خاصة تحت تأثير الاتجاه القومى فى التحليل الاجتماعي- يبرز هذا بشكل واضح فى الإنتاج العلمى الذى يعود إلى ما قبل الحرب العالمية الثانية - فى أعقاب ذلك حدث انتكاص واضح للاهتمام بهذهالناحية. ولكن تلقف هذا الموضوع التحليل السياسى الذى جعل من نظرية الطابع القومى أحد المداخل الرئيسية للدراسة المكروكوزمية لظاهرة السلطة، وكما تأثر علم السياسة بالعلوم السلوكية كان على النظرية السلوكية أن تتأثر بدورها بعلم السياسة. هذه الحقيقة واضحة فى فقهنا سواء فى بنائنا للنظرية السياسية، أو فى تحليلنا للظاهرة السلوكية.

عملية إعادة تشكيل الطابع العام.

ولكن ما المراد أولاً بالطابع العام للأمة؟

«فى أوسع معانيها يقصد بهذه الكلمة «تلك المجموعة من الخصائص والأنماط السلوكية والسمات بين أعضاء المجتمع الواحدالذى تسوده نفس العادات ويرتبط بنفس التقاليد ويسيطر عليه نظام ثقافى مشترك» فإذا قيل إن الطابع القومى الياباني[1] يسوده مبدأ الاحترام الزائد بين الجنسين على عكس الطابع القومى الإنجليزى الذى يقوم على مبدأ الاحترام المتبادل بين الذكر والأنثى، بينما المجتمع السويدى يقدم طابعاً قومياً يتناقض فى هذه الناحية مع الطابع القومى اليابانى. فإن هذا لا يعنى أكثر من :

أولاً : أن الطابع القومى هو مفهوم مجرد عام يرتبط بواقع اجتماعى معين دون أن يعنى التعبير عن حقيقة أو صورة سلوكية واقعية. ومن ثم فإن الطابع القومى هو أحد عناصر التحديد بالسلوك الفردى أكثر من أن يكون صورة محددة للسلوك الفردي.

(١) د. حامد ربيع : نظرية الطابع القومى ، القاهرة ص, ١٥٠

ثانياً : وهو لذلك مفهوم جماعى رغم أنه يعكس إطاراً فكرياً للسلوك الفردي. ولعل هذا يفسر كيف أن مفهوم الطابع القومى يقف عند حدود السلوك الفردى والجماعى ، فهو أحد مقومات السلوك الفردى من جانب، وهو يعكس مفهوماً مجرداً للسلوك الجماعى من جانب آخر .

ثالثاً : وهو يفترض نوعاً من الاستقرار والثبات ومقاومة التعبير بحيث يمكن فى بعض الأحيان إطلاق المفهوم ليرتبط بمجتمع معين، وقد ألغى عامل الزمان[1].

ويذهب د. حامد ربيع إلى أن دراسة الطابع القومى ذات أبعاد عديدة: فهى مناسبة لتحديد طبيعة العلاقة بين السلوك الفردى والسلوك الجماعي، ولكنها أيضاً نموذج واضح لتلك الصورة من صور الدراسات التى سبق أن أسماها بالدراسات الحركية حيث يصير على الباحث أن يخرج من ميدان الفضول العلمى إلى ميدان المشاركة العلمية أو بعبارة أدق إلى محاولة استخدام علمه وثقافته كأداة من أدوات التطوير الاجتماعي.

وترتفع أهمية هذه الدراسة بشكل خاص فى هذه المرحلة التى يجتازها المجتمع العربى والإسلامي، ذلك أن هذه المرحلة التى نعيشها يواجه فيها مجتمعنا وأمتنا حملة ضخمة من التشكيك والتشويه، فى مواجهة الشخصية الإسرائيلية والصهيونية خاصة.

وقد وجه خادم الحرمين الشريفين **الملك فهد بن عبد العزيز آل سعود**، وصاحب السمو الملكى **الأمير عبد الله بن عبد العزيز آل سعود** وليّ العهد ونائب رئيس الوزراء ورئيس الحرس الوطنى كلمة شاملة ضافية إلي حجاج بيت الله الحرام عام ١٤١٣ هـ تؤكد مفهوم البناء الحضارى فى تأكيد المنهج، ودعم الصورة الإيجابية للمملكة العربية السعودية فى أذهان العالم ، وفى هذه الكلمة نقرأ:

نواصل الوفاء لأمانتنا:

«ونحن أيها الأخوة فى الله جادون بإذنه تعالى فى تحقيق أضخم مشاريع التوسعة والتطوير والتجميل للمدينتين المقدستين لإيماننا بأن أمانة هذه الدولة ومسؤولياتها

---

(١) الخلط بين مفهوم الطابع القومى المصرى ، ومفهوم القومية العربية لا يزال حتى هذه اللحظة يسيطر على أذهان الكثير من كتابنا . قارن عرضاً لهذه الناحية فى: أبو خلدون ساطع الحصرى، أبحاث مختارة فى القومية العربية ١٩٦٤، ص٥١٤، وما بعدها . د.حامد ربيع : السابق ص١٦٢

مرتبطتان بما يوفقنا الله لإنفاقه وبذله عليهما أداءً للواجب واضطلاعاً بالمسؤولية. وهو واجب ومسؤولية لا نرجو من ورائهما شكراً أو ثناء من أحد، وإنما نرجو المثوبة والأجر عند الله والاحتساب لديه بخير الأعمال وصالحها وتسهيل أداء المسلمين مناسكهم وتوفير الأمن والطمأنينة لهم.

لن نلتفت للموتورين

«وسوف لن نلتفت لما يقال ويتردد من بعض المغرضين والموتورين من حين لآخر ممن يحاولون التشويش على هذه البلاد والتقليل من شأن أعمالها الجليلة التى لا ينكرها إلا جاحد موتور ولا يعمى عنها إلا مغرض مأجور.

وسوف تتواصل جهودنا بإذن الله وحوله وقوته للعمل بصبر وبصمت من أجل الوفاء بالواجب دون الالتفات لمثل تلك الأعمال والممارسات ودون أن نسمح لأحد بأن يمس أراضينا أو يسيء إلى مقدساتنا أو ينال من هدوء واستقرار وأمن حجاج بيت الله الحرام وزائرى المسجد النبوى الشريف.

وكلنا أمل فى تعاون الدول الإسلامية ومساهمتها فى توعية الحجاج والوافدين منها إلى هذه الديار وتحقيق مبدأ الاستطاعة الشرعية لأداء الفريضة واحترام المقدسات وتقدير الموقف العظيم والمحافظة على الصحة.

استقرارنا يساهم فى التكامل :

«أيها الإخوة فى الله ...

وإذا كان الشيء يذكر فإن المملكة العربية السعودية وهى تواصل رسالتها فى خدمة قضايا الأمة الإسلامية ومساعدة المحتاجين والتخفيف من حدة الكوارث والمشكلات والأزمات فى هذا العالم إيماناً منها بأن ما أنعم بها الله عليها من نعمة الإسلام أولاً ثم نعمه الاستقرار الأمنى ثانياً ثم نعمة الاستقرار المالى ثالثاً لابد وأن يسهم ذلك كله فى تحقيق مبدأ التعاون، والتكامل بين دولنا وشعوبنا.

مستمرون فى أداد واجبنا:

«ولسنا هنا بصدد الحصر الشامل لكل هذه الجهود وتلك المساهمات وإنما نحن

بصدد تقديم نماذج من هذه المشاركات التى نشعر برضى الضمير ونحن نسهم بها فى حل الكثير من المشكلات والنكبات. فنحن لم نتعود أن نتحدث عن كل ما نقدمه فى مختلف المجالات، كما أننا لا نسعى من وراء استعراض بعض هذه الأعمال أن نمن على أحد،ولكن الهدف هو التأكيد على أن المملكة العربية السعودية مستمرة فى أداء واجبها الدينى والأخلاقى والإنسانى تجاه إخوتها وأشقائها بل وتجاه الإنسانية جمعاء، إسهاماً منها فى تحقيق الأمن والرخاء والاستقرار فى تلك الجهات لإيمانها بأن هذا واجب تفرضه روابط العقيدة الإسلامية.

وسوف نواصل مساهماتنا بقدر المستطاع ودون أن نتطلع من وراء ذلك إلى كسب أو تحقيق مصلحة أو التخطيط لاقتناص مغنم من المغانم، وإنما هدفنا هو أن نسهم فى تحقيق الاستقرار والطمأنينة والتفرغ للبناء والتنمية والتطوير.

وإنه ليسعدنا أن نؤكد هنا أن المملكة العربية السعودية معنية ببناء الإنسان السعودى وتنمية قدراته وإمكاناته ليكون دائماً فى مستوى المسؤوليات التاريخية الضخمة التى وضعت فى عنقه وهو جدير بتحملها إن شاء الله.

دين العقل والمنطق :

«إخوتنا فى الله ..

تحددت معالم الطريق التى يجب على الإنسان المسلم أن يسلكها فنزلت الآية الكريمة علي نبيه المصطفى ﷺ : ﴿ الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ الإِسْلامَ دِينًا ﴾ (المائدة: آية ٣) حسماً لكل جدل وتحديداً للنهج الإيمانى القويم.

ذلك أن الإسلام دين الكمال وعقيدة الرحمة ونهج الحياة الأمثل وقد عزت به الأمم والأقوام وتلاشت فى نطاقه العصبيات، والعروق والقوميات، وانصهرت جميعها فى بوتقة الإيمان المطلق بالله سبحانه وتعالى والوجهة الواحدة نحو وحدانيته والالتزام بقواعد شرعه وتمثلها فى كل شأن من شؤون حياتنا.

ومن حسن حظ هذه الأمة أن اختار الله لها الطريق الذى لا تضل بعده أبداً وهو

طريق الهداية والنور والعرفان والمحبة والسلام والوئام والحرية والتكافل والتراحم والأمر بالمعروف والنهى عن المنكر والتوجيه والإرشاد نحو طريق الحق والعدل والصلاح.

الإسلام يكفل كرامة الإنسان:

«ومن هنا كان الإسلام ديناً يعتمد العقل والمنطق ويؤسس قيمه ومبادئه ومثله على قواعد من الاحترام الكامل لآدمية الإنسان وأحقيته فى الحياة الحرة الكريمة والتعامل معه بالحكمة والموعظة الحسنة. وقد قال سبحانه وتعالى فى محكم كتابه مخاطباً نبيه المصطفى ﷺ: ﴿وَلَوْ كُنتَ فَظًّا غَلِيظَ الْقَلْبِ لانفَضُّوا مِنْ حَوْلِكَ﴾ (آل عمران: آية ١٥٩).

ومن هنا كان الإسلام أيضاً دين العمل والمثابرة وليس دين التواكل والعزلة والانطواء لكى تعمر الحياة وتستمر إلى أن يرث الله الأرض ومن عليها.

نستغرب الممارسات البعيدة عن الإسلام:

«ولذلك فإننا نستغرب كثيراً ما نسمعه فى هذا الزمان من أعمال وتصرفات وممارسات لا صلة للعقيدة الإسلامية الخالصة بها ولا علاقة لخلق الإنسان المسلم القويم بأسبابها ودوافعها. نستغرب لأننا ندرك أن الأمة الإسلامية التى نشأت على حفظ كتاب الله والعمل به واتباع سنة نبيه عليه أفضل الصلاة والسلام والاستهداء بنهج الخلفاء الراشدين الأبرار لا يمكن أن تنبت نباتاً غير صالح أو أن تنجب شعوباً منفصلة عن تربتها النقية وبذرتها الصالحة ومنهجها القويم.

ولذلك فإن ما نراه ونلمسه ونسمعه من ظواهر لا تعدو أن تكون ردات فعل غير حكيمة وانعكاسات غير منضبطة لأوضاع غير طبيعية لا تخرج عن كونها اجتهادات خاطئة وتصرفات ينقصها الرشد وتحتاج إلى التصحيح والتقويم للعودة إلى الله والتمسك بكتابه العظيم والتزام الحكمة والصبر والأناة وبعد النظر فى معالجة هذه (الظواهر) غير السوية فى تضخيم صورة ما يحدث من اجتهادات ومفارقات وتصرفات غير مسؤولة ومن ثم توصلت إلى استنتاجات خاطئة بلغت حد العداء السافر للإسلام والمسلمين، وتحول الحديث داخل مجتمعاتها عن الإسلام والمسلمين إلى روح عدائى

عرضت وتعرض مصالح الجميع للخطر وقد تؤدى إلى توسيع نطاق الفجوة بين بلداننا وشعوبنا وتلك البلدان والشعوب نتيجة خطأ التصور وعاطفية النتائج التى توصلوا إليها.

تصحيح المفاهيم أولا:

إن مهمتنا جميعاً أيها الإخوة بالغة التعقيد وغير هينة وسط هذا الشعور المتزايد بالعداء لأمتنا وشعوبنا. فمهمتنا تبدأ بتصحيح الأوضاع الخاطئة فى مجتمعاتنا وأساليب حياتنا وتغيير مفاهيمنا الخاطئة نحو الإسلام، وفهم الإسلام وطبيعة الدعوة إلى الله وتوصيف الداعية والتمييز بين الدعوة والاجتهاد.

وفى نفس الوقت فإننا مطالبون بأن نبذل جهوداً كبيرة وجبارة لطمأنة دول وشعوب العالم، وتصحيح تصوراتها والتدليل لها على خطأ قناعتها ،والتأكيد لها من خلال تعاملاتنا الواعية وعلاقتنا الموضوعية وتعاوننا الواقعى معها؛ أن الإسلام برئ من كل تلك التصرفات، وأن الدين الإسلامى يحترم فى الإنسان إنسانيته ويستنهض فيه همه ويطور قدراته ويشجع الابتكار لديه والتفتح فى تفكيره والتبصر والأناة والحكمة فى معاملته، ونحن واثقون أن ترجمة هذه الجهود إلى ممارسات إيجابية سيساعد كثيراً على ترسيخ المفاهيم الإسلامية الصحيحة فى نفوس الأجيال المسلمة.

الإسلام كرم الإنسان وكفل حقوقه:

«أيها الإخوة فى الله...

إن المفاهيم الخاطئة عن الإسلام فى بعض المجتمعات تستوجب منا العمل الدؤوب والمتواصل لتأصيل فكرة الإسلام وتوضيح مراميه.. فنحن ندين بعقيدة تحترم حقوق الإنسان وتجعل التقوى وليس أى شيء آخر مصدر التكريم للإنسان.

الإسلام يرفض العنف والتطرف:

«إن المملكة العربية السعودية وهى تعتز بتطبيقها الكامل لشريعة الله فى الأرض تواصل جهودها فى سبيل غرس القيم الإيمانية الصادقة فى جميع مناحى الحياة ،لتؤكد بأن الإسلام لم ولن يكون فى يوم من الأيام دين الصراع والصدام والعنف والتطرف وأن وجود خلل فى بعض المجتمعات لا يبرر استخدام القوة والتدمير والتجاوز على كل

الحقوق وتحكيم شريعة الغاب، كما أنه لا يبرر تغذية الأحقاد وتمزيق الروابط ونسف المكتسبات وتضخيم التناقضات وإلغاء سلطة الدولة والتعدى على هيبتها والمساس بأمن الوطن والمواطن.

تجربتنا تجسيد للأمن والاستقرار والعدل:

«ولكم نحن سعداء فى هذه البلاد بأن جسدت تجربتنا كل معانى الخير والمحبة والصلاح وتكريس مبادئ الأمن والاستقرار والعدل فى الأرض. وهى تجربة بسيطة وواضحة لأنها **حافظت على أصالتها وتمسكت بتراثها ولم تتخل عن قيمها وتأريخها، ومع ذلك فإنها لم تدر ظهرها للمعطيات الحضارية والإنسانية** أو تتراجع أمام تجارب المجتمعات الأخرى القويمة بل **تقدمت بكل ثقة وبما أتيح لها من أصالة وعمق تأريخى ومن ثقة بالنفس وبنشأة صالحة للأجيال ومحصين للمجتمعات تقدمت نحو حضارة العصر وأخذت منها كل ما يناسبها واستفادت من كل منجز يمكن أن يساعدها على تطور حياتها المادية وفق تعاليم العقيدة الإسلامية وعلى ضوء هداها.**

الاستنتاجات الخاطئة أساءت للإسلام:

«أيها الإخوة فى الله...

إن بعض دول العالم تتحدث عن الإسلام وكأنه القوة التى ستدمر حضارة الإنسان وتغير وجه الحياة وتعيد البشرية إلى ا لقرون الوسطى.

ولكم نحن سعداء بأن الكثير من الدول التى كانت تنظر إلى الإسلام والمسلمين بمثل نظرتها الضيقة وتسيء فهم حقوق الإنسان فى الإسلام قد بدأت تدرك هذه الحقيقة وتغير الكثير من أنظمتها وتطبق الكثير من الأحكام الصارمة للاقتصاص من الجناة والمجرمين كما جاء بها الإسلام وطبقتها بلادنا.

مبادئنا: عدل ومساواة وتسامح:

«أيها الإخوة فى الله..

إن الشريعة الإسلامية الخالدة وبكل ما انطوت عليه من عدل وسماحة وتكريم للإنسان ومحافظة على حقوقه ومكتسباته وتوظيف لقدراته وطاقاته تقدم للإنسان حلولاً عملية للكثير من المشكلات والأزمات فلا عنصرية ولا عصبية ولا عرقية ولا طائفية فى الإسلام .. بل عدل ومساواة وتسامح وهى الأسس الثلاثة التى قامت عليها المملكة والسعودية منذ نشأتها وتعمل على ترسيخها فى كل شأن من شؤون الحياة تجسيداً للتوجيه القرآنى الخالد وتبنيها لمبادئه العظيمة.

نحترم حقوق الإنسان ولا نسمح بالتجاوز:

«صحيح أن البشر يخطئون وأن الممارسة فى بعض الأحيان قد يشوبها بعض القصور غير أن الأكثر صحة هو أن المملكة حكومة وشعباً حريصة كل الحرص على تحقيق كل معانى العدالة والحرية والمساواة بين الناس فى جميع أنظمتها وقوانينها.. وتشريعاتها المستمدة من أحكام الشريعة الإسلامية والتشاور فى الأمر امتثالاً لقوله تعالى: ﴿وَأَمْرُهُمْ شُورَىٰ بَيْنَهُمْ﴾ (الشورى : اية ٣٨) ولذلك فإن حقوق الإنسان مصونة وكرامته موفورة ولا نسمح فى أى ظرف وتحت أى سبب بالتجاوز عليها أو الإخلال بها..

على الآخرين تفهم خصو صيتنا:

«ونحن كمجتمعات إسلامية لها من القيم الثوابت ما تستغنى به عن التجارب والأفكار والممارسات الأخرى. لذلك نريد من الآخرين أن يحترموا ثوابتنا تلك ومبادئنا تلك وقيمنا تلك.. وأن يتفهموا طبيعة الخصوصية التى تميز مجتمعاتنا وثقافتنا عن غيرها تماماً؛ كما نحترم نحن أنظمتهم وتقاليدهم وثقافتهم ونتفهم أنماط تفكيرهم وإن اختلفنا معهم أيضاً».

ويقتضينا السياق العلمى أن نميز بين القومية، والطابع القومى أو طابع الأمة، وأن نحدد الفارق أيضاً بين الطابع القومى National character والصورة القوميةNational Image ، تأسيساً على أن الطابع العام للأمة : ظاهرة تنبع من التحليل الموضوعى للسمات والملامح الفردية على المستوى الجماعى والشمولي، وهى خصائص

فردية تعبر عن الانتماء إلى مجتمع سياسى معين بحيث ترتبط بذلك المجتمع وجوداً أو عدماً، أما المفهوم الثانى أى (الصورة القومية) فيقصد بها كيفية تصور مجتمع لمجتمع آخر، سواء أكان هذا التصور يعبر عن الحقيقة ويعكس الصفات الواقعية للانتماء إلى ذلك المجتمع الآخر أم أن هذا التصور يخضع لعملية تشويه مقصودة أم غير مقصودة، فالطابع القومى يقصد به تلك الصفات التى يتصف بها العربى أو المسلم العادي، أما الصورة القومية فيقصد بها كيف يتصور الأجنبي- الأمريكى أو الإنجليزى مثلاً العربى أو المسلم- سواء كان هذا التصور مطابقاً للحقيقة أم غير مطابق لتلك الحقيقة[1].

(١) د. حامد ربيع : نفس المرجع ص ,١٨٣

obeikandl.com

الطابع القومى وأبعاد التحليل العلمي

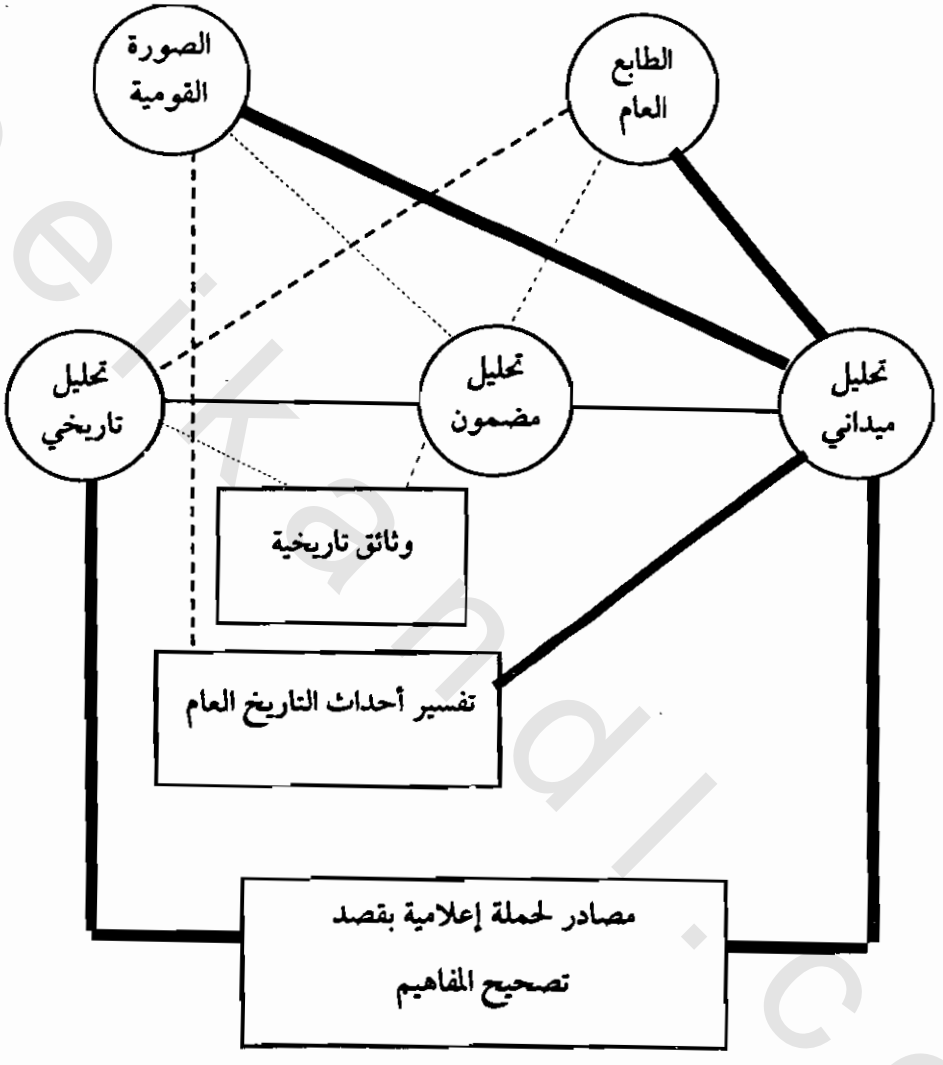

يذهب البناء الأساسى للشخصية، إلى دلالة ترتبط بتشكيل الشخصية، من حيث اشتراك غالبية أعضاء المجتمع فيه، نتيجة للخبرات التى اكتسبوها معاً، وهذا المفهوم يتطابق مع أنساق القيم والاتجاهات التى تعد أساسية، بالنسبة لتشكيل شخصية الفرد، وعلى ذلك يمكن لنفس أنماط الشخصية الأساسية أن تنعكس فى ضروب مختلفة من السلوك.

وتظهرنا دراسة المفهوم الغربى للشخصية العربية، على اتجاه يستمد أصوله من المحاولات المتعددة فى التراث الفكرى الغربي، حاولت بدرجات متفاوتة من الموضوعية أن تصور للغربيين أخلاق العرب وعاداتهم. كما تظهرنا على دور موسس المملكة العربية السعودية فى تصحيح المفاهيم الخاطئة عند الغرب عن الشخصية العربية.. والمفاهيم الخاطئة التى ارتبطت بالغرب فى مرحلة غزوه الاستعمارى للوطن العربى والعالم الإسلامي. ذلك أن الغرب لم يقنع بالترويج لصورة مزيفة عن العرب، بل إنه حرص عن طريق فلاسفته وعلمائه الاجتماعيين على رسم صورة تفصيلية تركز على قصور العرب وتخلفهم، فى سياق النظرة العنصرية، التى تبرر الاستعمار.

ولقد كان لظهور الملك عبد العزيز فى ساحة السياسة العالمية أثره الكبير فى تصحيح المفهوم الغربى للشخصية العربية والإسلامية ، الأمر الذى أدى بعدد من أهل الفكر المنصفين إلى إعادة بناء كامل لتصور الشخصية العرَبية والإسلامية من خلال التعرف من قريب بنموذج هذه الشخصية ممثلاً فى الملك عبد العزيز.

ولسوف نتعرف على ملامح لهذه الشخصية العربية والإسلامية فى مرآة الفكر الغربى المنصف، من خلال مصادر تكوين الصورة الذهنية، التى أتاحت لهؤلاء المفكرين والكتاب الاتصال بينهم وبين الشخصية العربية والإسلامية من قريب، الأمر الذى أدى إلى تغيير صورة هذه الشخصية تغييراً إيجابياً.

وحين نتناول بالدرس الصورة الذهنية التى تمثلها الشخصية العربية والإسلامية من خلال البناء الحضارى الذى شيده الملك عبد العزيز آل سعود، فإن هذه الصورة تبدو لنا فى مفهومها، ممثلاً عقلياً مجرداً من خلال مصادر المفكرين والكتاب فى دراساتهم عن الملك عبد العزيز.

والتى تظهرنا بدورها على قول كارليل: «إن تاريخ ما أحرزه الإنسان فى هذا العالم إنما هو فى أساسه تاريخ عظماء الرجال الذين حققوه بعملهم »[1] ولقد عبر عنها كزين Cousin بشكل أوضح حين قال : «إن عظماء الرجال يلخصون الإنسانية ويمثلونها»[2] والعلاقة المتضمنة هنا إما أن تكون علاقة رجل عظيم بعصره، وإما علاقة رجل عظيم بالأجيال القادمة .والشخصية التى ندرسها فى هذا الكتاب تؤكد المعنيين . فالملك عبد العزيز يمثل بالفعل علاقة رجل عظيم بعصره من جهة، كما يمثل علاقة رجل عظيم بالأجيال القادمة، وهذا ما نحاول صفحات هذا الكتاب أن تجلوه، من خلال الدراسة العلمية التى تؤكد المعنيين .

فالملك عبد العزيز رحمه الله ، يحسم بسيرته الخلاف الذى دار حول مسألة العظمة والشهرة. ذلك أن الأخلاقيين مثلاً ذهبوا إلى أن العظمة قد تحقق كلية فى تحقيق الشهرة . وأن الشهرة قد تكون منقطعة الصلة بالعظمة، ولكننا هنا بإزاء الملك عبد العزيز نكون بإزاء رجل يجمع بين الشهرة والعظمة ، على النحو الذى يجعله فى عداد القمم العالية من العظماء الذين يرتفعون كثيراً فوق مستوى عامة الإنسانية وخاصتها أيضاً، كما ترتفع الجبال فوق سهول الأرض. على النحو الذى يجعلنا نتساءل مع بوردو: « ما ظنك بجغرافى يريد أن يعطى وصفاً كاملاً للأرض فيكتفى بذكر القمم العالية؟»[3]

أما مفتاح هذه الشخصية العظيمة فيتضح من قول الملك عبد العزيز:

«أنا لا أفتش ولا أسعى للرئاسة، ولا أريد علواً فى الأرض، ولا سعادة وإنما يهمنى فى الدرجة الأولى ، جعل كلمة الله هى العليا، ولا يهمنى فى هذا الشأن ما يعترضنى فى الطريق من المصاعب والمتاعب».

وقائل هذا الكلام يقدم لنا مفتاح شخصية عظيمة بالفعل، تفتح لنا أبوابها وتنفذ بنا

(1) Carlyle . Thomas , Heroes , Hero Worship and the Heroic in History Centenary edition of the Works of Thomas Carlyle . Chapman and Hall , London . n.d. 30 Volumes v.I.

(2) Bourdeau . Louis . L'Histoire et les historiens , Paris , 1888.P.17.

(٣) نفس المرجع ، ص ١٤.

وراء أسوارها وجدرانها، ذلك أن لكل شخصية إنسانية - كما يقول العقاد- مفتاحاً صادقاً يسهل الوصول إليه أو يصعب على حسب اختلاف الشخصيات .. «ورب شخصية عظيمة سهلة المفتاح ، فلا تروعنا الشخصية الكاملة التى تروعنا بفضائلها ومزاياها، ثم لا نستغرب منها فضيلة أو مزية بالقياس إلى انتظام عملها واتصال أثرها كالشمس الطالعة تروعنا بإشراقها فى أوقاتها وبروجها، ثم لا تحيرنا لمحة عين كما تحيرنا الذبالة الضئيلة تومض لحظة وتختفى من بعيد».

وفى اعتقادنا أن شخصية الملك عبد العزيز رحمه الله من أقرب الشخصيات العظيمة مفتاحاً لمن يبحث عنه، فهو يقول واضعاً أيدينا على مفتاح شخصيته:

«إننى والله لا أحب إلا من أحب الله حباً خالصاً من الشرك والبدع، وأنا والله لا أعمل إلا لأجل ذلك، ولا يهمنى أن أكون ملكاً أو فقيراً».

فالإيمان هنا هو الذى يسم شخصية الملك عبد العزيز بسماته، ويسيطر على أخلاقه وأفكاره، يقول رحمه الله :

«والله ثم والله، إنى لأفضل أن أكون على رأس جبل، آكل من عشب الأرض، وأعبد الله وحده، من أن أكون ملكاً على سائر الدنيا وما فيها».

وهذا القول يشير إلى ما ذهب إليه العقاد فى تحديد السمة التى تميز بين العظماء حتى فى الإيمان وسيطرته على الأخلاق والأفكار والدوافع والسورات، فإن الإيمان ليقوى فى نفوس كثيرات ثم تختلف آياته وشواهده باختلاف تلك النفوس. وهنا نبحث عن «مفتاح الشخصية» لنعرف به الفارق بين الإيمان فى طبيعة الملك عبد العزيز وبين الإيمان فى طبائع غيره من الأقوياء، والذى نراه أن « طبيعة الشخصية الإسلامية» فى صفتها المثلى هذه أصدق مفتاح لشخصية الملك عبد العزيز ، الذى قال يوماً يؤكد هذا المعنى :

«إننى أفخر بكل من يخدم الإسلام ويخدم المسلمين ، وأعتز بهم، بل أخدمهم وأساعدهم وأؤيدهم، وإننى أمقت كل من يحاول الدس على الدين، وعلى المسلمين، ولو كان من أسمى الناس مقاماً وأعلاهم مكانة».

وفى ضوء مقومات الشخصية الإسلامية كما نراها فى شخصية **الملك عبد العزيز**، يمكننا أن نفسر الاتفاق الطبيعى بينه وبين الإمام **محمد عبد الوهاب** فى العقيدة السلفية والدعوة الإصلاحية، ذلك أنه رأى فى هذه الدعوة خير تجسيد لهذه الشخصية الإسلامية النقية من العوارض التى طرأت عليها عبر العصور ، والتى تفسر بدورها ما امتحنت به الأمة الإسلامية من نكبات، تعصى على التفسيروالفهم بمنطق الأسباب العسكرية من عدد وعدة، فكان لابد من التماس الشخصية الإسلامية فى جوهرها الحر، بحيث يمكن القول إن الإيمان منوط بالقلب، طمأنينة وعقيدة .

﴿الَّذِينَ آمَنُوا وَتَطْمَئِنُّ قُلُوبُهُم بِذِكْرِ اللَّهِ أَلا بِذِكْرِ اللَّهِ تَطْمَئِنُّ الْقُلُوب﴾ (الرعد : ٢٨)

﴿ أُوْلَئِكَ كَتَبَ فِي قُلُوبِهِمُ الإِيمَانَ وَأَيَّدَهُم بِرُوحٍ مِّنْهُ﴾ (المجادلة : ٢٢).

﴿وَلَكِنَّ اللَّهَ حَبَّبَ إِلَيْكُمُ الإِيمَانَ وَزَيَّنَهُ فِي قُلُوبِكُمْ ﴾ (الحجرات : ٧)

﴿رَبَّنَا لا تُزِغْ قُلُوبَنَا بَعْدَ إِذْ هَدَيْتَنَا وَهَبْ لَنَا مِن لَّدُنكَ رَحْمَةً إِنَّكَ أَنتَ الْوَهَّاب﴾

(آل عمران:٨)

وتأسيساً على هذا الفهم الإسلامي، انطلقت شخصية الملك عبد العزيز لتؤكد دعائم صورة الشخصية الإسلامية فى العصر الحديث، يقول الملك عبد العزيز:

«إننى أدعو المسلمين جميعاً إلى عبادة الله وحده، والرجوع للعمل بما كان عليه السلف الصالح، لأنه لا نجاة للمسلمين إلا بهذا وأسأل الله أن يوفقنا جميعاً إلى ما يحبه ويرضاه».

وإذا كان معنى الشخصية من أشد معانى علم النفس تعقداً وتركيباً، فإن «مفتاح» الشخصية يكون أكثر من ذلك صعوبة فى البحث عنه فى جميع الصفات الجسمانية والوجدانية والعقلية والخلقية فى حالة تفاعلها بعضها مع بعض وتكاملها فى شخص معين يعيش فى بيئة اجتماعية معينة، وقد سبق لنا أن درسنا بعض الجوانب من البيئة الاجتماعية التى نشأ فى ظلالها الملك عبد العزيز بن سعود، كما أننا درسنا مظاهر عبقريتى المكان - والزمان فى البناء الحضارى. والمهمة التى تواجهنا الآن هى إعادة النظر

فى جميع هذه الصفات« بطريقة تكاملية لبحث مظاهرها الكلية[1]» كما تبدو فى سلوك شخصية الملك عبد العزيز من حيث هو متميز من غيره.

فلدينا إذن نقطتان أساسيتان تتركز حولهما جميع بحوث الشخصية ونفيد منهما فى دراسة شخصية الملك عبد العزيز: الأولى هى شعوره بذاتيته ووحدته، أى صورة الشخصية كما تبدو فى مرآة الذات، والنقطة الثانية هى الأثر الذى تتركه مجموعة الصفات التى تميز بها الملك عبد العزيز فى شعور أشخاص آخرين- عرباً وأجانب - شاهدوا المظاهر السلوكية من الخارج وحكموا عليها، أى صورة شخصية الملك عبد العزيز كما تبدو فى مرآة الغير.

وإذا كانت الشخصية تفوق الفردية فى مدى دلالتها وفضلها، فإنها فى نظر العلم ظاهرة طبيعية تخضع فى نموها وتطورها للقوانين نفسها التى يخضع لها نمو الكائنات الحية وتطورها ، ولذلك وجدالعلماء صعوبة فى تعريف الشخصية ، فنجد أن القاموس يذهب إلى أن الشخصية هى مجموعة الخصائص المميزة للفرد، ونضرب المثل على ذلك بقول «آرثر ميللر» : ليست العبرة بما تقول، ولكن كيف تقول .. ومن المؤلفين من يعرف الشخصية من الجانب الفردي، فيعنى بدراسة خصائص الفرد الجسمية وتركيبه البيولوجي، ومنهم من يتناول الجانب الاجتماعى والثقافى والحضاري، فى حين يركز الاجتماعيون على دور الفرد فى الجماعة وعلاقته بالآخرين، وينظر «آلبورت» إلى الشخصية على أنها التعبير الحقيقى عن الإنسان أو هى حقيقة الإنسان[2]، وبالتالى فهى تتكون من تلك ا لخصائص والمقومات التى تحدد للفرد سلوكه وتفاعله وعلاقاته مع الآخرين. ويذهب بعض الدارسين إلى تعريف الشخصية بأنها مجموعة أو حاصل الخصائص التى تميز الفرد عن غيره ، وتحدد له دوره فى جماعته أو مجتمعه، على أساس أن حاصل خصائص الفرد ليس مجموع هذه الخصائص، أو ناتج إضافتها على بعضها

(١) د. يوسف مراد : مبادئ علم النفس العام ، ص ٣٦٣

ود. على محمد عبد الوهاب : السلوك الإنسانى فى الإدارة ، ص ٣٥

(2) G.Allport , Personality (N.X:1934).

البعض، وإنما هى تركيبة معقدة تتكون من تفاعل هذه الخصائص، وتحركها أو تغيرها ، وتأثيرها وتأثرها فى بعضها البعض[١].

وتدرس نظرية الذات؛ النفس البشرية، وتحاول أن تفسر سلوكها، وفى ضوئها ندرس شخصية الملك عبد العزيز من ناحيتين رئيسيتين : الأولى الذات الشخصية التى تصورها عن نفسه، والتى تتكون من بنائه الداخلى كالقدرات والتصور والإدراك، والثانية هى الذات الاجتماعية التى تعكس للفرد صورته عن نفسه من خلال الآخرين أو المجتمع الذى يعيش فيه ، ولا شك أن هاتين الصورتين تتداخلان فى بعضهما البعض، وتتكونان من خلال تدرج الفرد فى مراحل نموه المختلفة.

والواقع أنه لا يوجد تعريف واحد - كما تقدم - يوفر للشخصية تعريفاً كاملاً، ولكننا نعرض هنا تعريفاً أكثر شمولاً يقرب ويجمع شتات عدد من التعريفات السابقة بحيث يكون هذا التعريف إلى شرح وتوضيح حقيقة الشخصية أقرب، وهذا التعريف هو الذى يذهب إلى أن «الشخصية هى الكل الديناميكى الذى يميز كل فرد من غيره، والتى توجه سلوك الفرد وتحدد فاعليته في حياته وقدرته على التوافق والتكيف مع بيئته، وهى من نتاج التفاعل المستمر بين العوامل الوراثية والعوامل البيئية التى تؤثر على الفرد منذ ولادته وفى مختلف مراحل حياته»[٢].

وإذا كان ا لحديث فى السنوات الأخيرة قد كثر عن الشخصية وأهميتها للنجاح فى أعمال معينة، فإن الإنسانية فى تاريخها الطويل شغلت بمقومات الشخصية المؤثرة، سواء فى الإبداع، أوالعلم أو الدين، أو السياسة، وهنا - عندالحديث عن الملك عبد العزيز- نجد أصدق وصف ينطبق عليه، هو ما عناه « توينبي» حينما تحدث عن «القائد أو المخلص المتقلد حساما» ذلك أن هذا القائد أو المخلص المرتجى لمجتمع متحلل هو بالضرورة مخلص متقلد سيفاً، بيد أن السيف قد يكون ممتشقاً أو مغمداً، وربما يناضل وسلاحه مجرداً، أو يقبع وسلاحه فى غمده بعيداً عن الأنظار، مثل المنتصر الذى ألقى بجميع أعدائه تحت قدميه».

---

(١)المرجع السابق ، ص, ٣٥

(٢)د. على أحمد على ، د، محمود عساف ، السلوك فى مجال العمل ، ص, ٦١

ذلك أن عبدالعزيز قد ولد أيام النكبة التى لاقتها الأسرة السعودية بسبب الانقسام فيما بينها واقتتال أركانها، فلما رحل والده الإمام عبد الرحمن عن الرياض ليعيش فى المنفى مع أسرته، لم يكن عبد العزيز قد تجاوزالحادية عشرة من عمره[1].

وإذا كنا قد تحدثنا فى غير هذا الموضع عن عبقرية المكان، فقد تعرفنا كذلك على أثر الصحراء فى شخصية الملك عبد العزيز الذى أمضى الجانب الأكبر من صباه يعيش مع القبائل البدوية على حافة الربع الخالي، يتعلم الفروسية وفنون الحرب والقتال، ويقف على الصلات القائمة بين القبائل ويدرس عادتها وتقاليدها ونقاط القوة والضعف فيها، كما أمضى جانباً آخر من حياته يدرس مبادئ الشريعة الإسلامية على عالم دينى من علماء القصيم، وفق أسس الإسلام الصحيح.

يقول الزركلي[2] : «فى النصف الأخير من رمضان ١٣٠٨هـ (١٨٩١م) كانت قافلة، عليها مظاهر النعمة والقوة، تضرب فى الصحراء. خرجت مشرقة من الرياض، فى ميل قليل إلى الشمال، وعلى بعير منها فتى فى الخامسة عشر من عمره عليه « صمادة» بيضاء مطرزة، لف بكساء أشبه بالخرج، وهو يسأل : فى أى أرض نحن؟ ويجاب : نحن فى «الدهناء» يا «عبد العزيز»!

عبد العزيز : الملك المصنَّف باسمه هذا الكتاب، ولد فى قصر الإمارة والإمامة بالرياض سنة ١٢٩٣هـ (١٨٧٦م) ونشأ طويل القامة، عريض المنكبين، بارز الصدر، حاد العينين، دقيق الخصر، ضامر البطن، مفتول الساعدين والساقين، رشيق الحركة، وعهد به أبوه - الإمام عبد الرحمن بن فيصل آل سعود - إلى مطوع من أهل« الخرج» كان مقيماً فى الرياض اسمه القاضى عبد الله الخرجي، فتعلم مبادئ القراءة والكتابة، وحفظ سوراً من القرآن، وقرأه كاملاً ثم تلقى بعض أصول الفقه والتوحيد على يد الشيخ عبد الله بن عبد اللطيف فى كراسة صغيرة أعدها خصيصة له، إلا أنه لم يكن فى طبعه الصبر على الدرس فلم يلبث أن انصرف عن مقاعد الأطفال إلى محاكاة «الرجال».

وينقل عن لسانه : أنه أحسن استعمال البندقية وركوب الخيل كأحد الفرسان ، وهو فى سن الصبا، وأنه كان فى السابعة ، حاد الطبع، دائم الحركة، لا يستطيع الاستقرار فى مكان واحد فترة طويلة، ولقد تناقل أكثر الكاتبين عن الملك عبد العزيز فى حياته، أنه ولد

(١) أحمد عسة : معجزة فوق الرمال ، ص٤٦
(٢) الزركلى : السابق ٢ ص ,٥٧

سنة ١٢٩٧ هـ (١٨٨٠م) حتى أن المؤرخ الأديب خالد بن محمد الفرج وضع حساباً لذلك، بالحروف الأبجدية، وهو :

«الإمام عبد العزيز بن الإمام عبد الرحمن الفيصل آل سعود».

وجاء مجموع هذه الحروف ١٢٩٧ وقويت هذه الرواية بما نُقل عن لسان عبد العزيز، من أنه كان غلاماً حينما خرج من الرياض سنة ١٣٠٨هـ (١٨٩١م) ملفوفاً في كساء أشبه بالخرج .. غير أن المتصلين بعبد العزيز من زمن طويل، يذكرون أنه بما جُبل عليه من حيوية، كان يكره أن يشعر نفسه بالاقتراب من سن الشيخوخة أو دخولها ، فما زال يكرر أنه يوم هجرته مع أبيه من مسقط رأسه كان ابن إحدى عشرة سنة، ونُقل عن لسان الأستاذ الشيخ محمد نصيف قوله : أخبرني الملك بأن ميلاده كان سنة ١٢٨٥هـ (١٨٧٦م) والحوادث لا تؤيد هذا».

ويضيف الزركلي : «على أني بعد وفاة عبد العزيز ، رجعت إلى أديب آل سعود وعالمهم ا لأمير عبد الله بن عبد الرحمن. أخي الملك، فسألته ، فأجاب : كان رحمه الله يود أن يقال إن مولده سنة ١٢٩٧ هـ. ولكن الصحيح أنه ولد في أواخر عام ١٢٩٣ ه (١٨٧٦م).

ورأيت في قيود عندي أنه لما ولد كان أبوه عبد الرحمن في بلدة ضرمى ، وبُشر بولادته ليلة ١٩ ذي الحجة ، فأضفت هذا إلى ذاك، ورجّحت أنه الصواب.

ومن مميزاته الجسمية أنه حمل السيف، ولعب به وركب الخيل وامتطى النياق، والتف حوله رفاق له، فكان المتقدم عليهم في ألعابهم والزعيم فيهم، وعوده والده أن يستيقظ قبل الفجر للصلاة، ووجهه إلى الرياضة وأدبه بآداب آل سعود، وشهد في صباه نتاج الخصومات والمعارك بين أعمامه . وأدرك ما كان من توسع آل رشيد، في الاستيلاء على بلاد نجد، وتضاؤل آل سعود أصحاب تلك البلاد وسادتها ، أمامهم».

قال مؤلف كتاب «ابن سعود ملك البلاد العربية» بالفرنسية[٢] : قتل الملك عبد العزيز أول عدو له ، وهو في الحادية عشرة من عمره.

وقال حافظ وهبة : سمعت من بعض أصدقائي الكويتيين الذين عاصروا عبد العزيز

(١) ibn Seuod Roi de l'Arabie تأليف البروفسور أنطوان زيشكا Antoine Ziscka طبع في باريس سنة ١٩٣٤م.

ورافقوه فى طفولته (؟) أنه كان يفوقهم نشاطاً وذكاء، وأنه كان يتزعمهم دائماً فى الألعاب المألوفة لمن كان فى سنه، وأنه كان دائماً يميل إلى سماع تاريخ جده الإمام فيصل ومغامراته، من بعض الشيوخ المسنين بالكويت[١] .

وروى خالد الفرج ، ما خلاصته : أراد الشيخ عيسى بن على آل خليفة حاكم البحرين، أن يلاطف «الفتى » عبد العزيز، فسأله : قَطَر أحسن أم البحرين ؟ فأجابه عبد العزيز على الفور : الرياض أحسن منهما .. فقال عيسى : سيكون لهذا الغلام شأن ..

وأضاف خالد إلى هذه القصة : سمعتها من المرحوم الشيخ عيسى بنفسه ، وهو يقصها فى مجلس نزهته العصرية ببستان «ريا» فى البحرين ، وذلك بمناسبة تسليم جدة سنة ١٣٤٤هـ[٢].

ويذكر الزركلى أن محمد بن بلهيد قد حدثه بأخبار عن أوليّة «عبد العزيز » منها القصة الآتية قال : فى أثناء تغرُّب الإمام عبد الرحمن الفيصل عن الرياض، جلس عشية يوم وحوله بعض خاصته ، فجرى الحديث عن أبنائه، فتكلم الحضور وبينهم مانع بن جمعة العجمى (من رجالات العُجمان) لم يتكلم ، فقال له الإمام : ما ترى يا مانع؟ فقل : إذا أراد الله عزاً للمسلمين ، فهو على يد عبد العزيز، قال عبد الرحمن : وما يدريك ؟ قال : رأيت فتيان الحيّ يتهيأون ليلعبوا «اللّحى»[٣] وقد انقسموا فريقين ، فسمعت أكثرهم - ومنهم بعض أبنائك - يقول : من أنا معه ؟ وسمعت عبد العزيز يقول : من هو معى ؟..

وقال فؤاد حمزة : سألت الملك عبد العزيز عما إذا كان تقابل مع محمد بن رشيد، فقال : نعم ، قابلته وعزانى فى أخى فيصل[٤] ، وقال لى : عسى أن يجعلك الله عوضاً عنه[٥].

---

(١) خمسون عاماً فى جزيرة العرب ,٢٧

(٢) مخطوطة خالد الفرج.

(٣) اللحى : بفتح اللام وسكون الحاء ، من ألعاب فتيان نجد وصبيانها ، ينقسمون جماعتين ويقفز أحد الفريقين فيلطم شخصاً من الفريق الثانى وينهزم فيتبعه الملطوم، والكلمة عامية لعلها من «التلاحي» الذى هو التنازع .

(٤) توفى فيصل بن عبد الرحمن فى أواخر سنة ١٣٠٧هـ ١٨٩٠ م.

(٥) البلاد العربية السعودية ,٧

وعرفنا أن عبد العزيز، كان أحد الثلاثة الذين انتدبتهم الرياض لمفاوضة ابن رشيد وعقد الصلح معه ، فى أوائل سنة ١٣٠٨هـ (١٨٩٠م)[١] وهى مشاركته «السياسية» الأولى فى مثل هذا الاجتماع الخطير.

ويشير بعض من كتب عن عبد العزيز، إلى ماكان لوالدته «سارة بنت أحمد بن محمد السُديري» من فضل فى توجيهه، وكانت من أكمل النساء عقلاً وتدبيراً، ويُروى لها شعر من الملحون ، توفيت فى أواخر عام ١٣٢٧هـ (١٩١٠م) بالرياض، وهى من أهل بلدة الغاط فى سُدير، بجوار الزلفي، كان أبوها ممن حارب إبراهيم باشا ، وولاه خُرْشيد[٢] وخالد بن سعود سنة ١٢٥٤ ، إمارة الأحساء فاستمر إلى أن توفى سنة ١٢٧٧هـ (١٨٦٠م) ويقال له أحمد الكبير».[٣]

ومن ذلك يتضح أن الملك عبد العزيز قد اتسم بمقومات جسمية ، ومقومات عقلية تتمثل فى الذكاء والقدرات العقلية الخاصة ، ومقومات وجدانية وعاطفية ومقومات بيئية، تمثل الجوانب المكتسبة والمستلهمة من مقومات الشخصية الإسلامية.

وإذا كان من العسير وضع قائمة تشمل جميع السمات التى تجسم لنا باجتماعها وتكاملها هيئة شخصية الملك عبد العزيز بكليتها، فإنا سنجد أنه قد اتسم بمميزات جسمية وأخرى حركية وعقلية ومزاجية واجتماعية.

وبالفطرة التى فطر عليها، تمثل من تاريخ الفتوحات الإسلامية ما يحسن بالجندى المسلم فى بدنه وطعامه، وكره ما ليس بالمستحسن فيه، فتمثل قول عمر : « إياكم والسمنة فإنها علة» وقوله : «إياكم والبطنة فإنها مكسلة عن الصلاة ومفسدة للجسم ومؤدية إلى السقم، وعليكم بالقصد فى قوتكم فهو أبعد من السرف وأصح للبدن وأقوى على العبادة» .

ولذلك اتسمت شخصيته جسمانياً بالقامة والقوة والصحة والوسامة ، وظل محتفظاً بهذه السمات الجسمية طوال حياته، يقول الأستاذ عبد الله حسين - فى سنة ١٣٤٤ هـ -

(١) أرخها الريحانى فى «تاريخ نجد الحديث ٨٩» سنة ١٣٠٧ وقال : كان عبد العزيز يومئذ فى الحادية عشرة من عمره، قلت : «ولا يعقل أن يشارك فى اجتماع كهذا من كان فى تلك السن.
(٢) اسم تركى معناه «الشمس» .
(٣) الزركلى : السابق ص ٦١,

إن «هذه البنية المتينة منحة إلهية موروثة من الآباء والأجداد ، أما الاحتفاظ بها فراجع إلى نظام معيشته، فجلالته منذ الصبا لا يكثر من ألوان الطعام ولا يحب الدسم ولا الحلوى ويقصر غذاءه فى معظم الوجبات على الأرز واللحم الناضج كل النضج. ويحب من الخضر «البامية» خاصة ولكنه يكتفى منها بمرقها وقد يشرب قليلاً من الماء على الطعام يحمله خادمه الأمين «مرجان» فى كوب طويل ويقف به وراء جلالته ما دام على المائدة ويتفضل جلالته فيناول الكوب من يختصهم من ضيوفه.

«وجلالته منذ عشر سنين[1] لم يشرب ماء من غير عين «الجعرانة» فى الحجاز وعين «البديعة» فى نجد وهو ماء صاف سائغ المذاق يحتوى على بعض الخصائص المعدنية التى تساعد على هضم الطعام».

«وربما استغنى جلالته عن شرب الماء بشرب اللبن المخيض بعد الغداء فيطلبه جلالته أحياناً ويتناول منه جرعات ويأمر به لمن حوله من الضيوف، وهو غذاء طيب الطعم مفيد للجسم، قال الطبيب العالمى المشهور «متشينكوف» إنه من أفضل الأغذية لتطهير الجهاز الهضمي، وذكر أن أمم البلقان يواظبون عليه. ويبكر جلالته بالإفطار ويأمر بالغداء فى الساعة الثانية عشرة ظهراً، ولا يتأخر عشاؤه عن الساعة السادسة فى المساء» وقال الحقيل إن للعادة دخلاً كبيراً فى ذلك، فقد عاش جلالته عشرين سنة على ظهور الإبل وظل أثنى عشر عاماً منها يقطع الليل فى الهجوم مع أصحابه على الأعداء لا يأكلون إلا التمر[2].

وملابس الملك عبد العزيز «بسيطة جداًو فى الصيف من القماش القطنى والكتانى الأبيض، ويزيد عليها فى الشتاء ملابس صوفية فوق الجسم. وفوق الملابس الخارجية يزيد من الصوف، ويرجح نوعاً من القماش الأبيض، وفى أيام الجمع يلبس عباءة بيضاء ومثلها الغترة .

«ويكثر الملك من الاغتسال فى أيام الصيف وقد يغتسل ست مرات، وفى الشتاء لا يقل سبوحه عن مرتين فى اليوم ويحتذى النعال فى الصيف والأحذية فى الشتاء.

---

(١) أى منذ سنة ١٣٣٤هـ

(٢) المرجع نفسه ، ص ١٠٨.

«ويتختم الملك بخاتم فضى له فص من العقيق نقش عليه اسمه كما يأتى : «عبدالعزيز بن عبد الرحمن الفيصل آل سعود»[1].

ومن مميزات الملك عبد العزيز الجسمية ، طول القامة، وصحة الجسم، وكان أسمر اللون مهيب الطلعة، تتجلى بساطة مظهره فى ملبسه ومأكله ومشربه، وسائر أحواله المعيشية ويضيف فى وصف مميزاته، الشيخ حمد بن إبراهيم الحقيل[2]، أن عبد العزيز رحمه الله كان «مفتول الساعد شديد العصب قوى القلب متناسق الأعضاء أسمر اللون ذا لحية مستديرة يلبس فى الصيف أثواباً من الكتان وفى الشتاء قنابر من الجوخ تحت عباءة بنية في الغالب، يحب الطيب ويحمل عصا الشوحط، له أنامل طويلة وعينان عسليتان تنيران أماكن العطف واللطف ساعة الرضا وتضرمان فى كلامه ساعة الغيظ نار الغضي، هو خفيف الروح حلو النكتة لطيف التهكم، وحد الجزيرة العربية وجمع أشتاتها وقد وهبه الله بسطة فى الجسم وبسطة فى العلم فكان فى ذلك آية، خاض أكثر من مائة وخمسين معركة ولما مات وجد على جسمه ثلاث وأربعون ندبة وأثر جراح، كان عبقرياً تتمثل فيه قوى الصحراء كلها وحسب الإنسان أن يفكر فى مغامرة الرياض التى أتمها بقبضة من الفرسان وأثر عنه أنه يقول لما كنت على شيء من الضعف كنت أكثر ما أكون من جراءة. وعرفت أننى أصبحت الأقوى لما شعرت أننى أكثر أناة وحكمة، وقال مرة إذا وفق الله أولادى فسوف يتولون مقدرات مائة مليون.

وذكر كثير من المؤرخين العرب وجاراهم فى ذلك أكثر مؤرخى الغرب إلى أن عبد العزيز عنزى من قبيلة عنزة المشهورة بالقوة والكثرة فمن مؤرخى الإحساء ومؤرخ الكويت العزاوى فى العراق وفؤاد حمزة فى كتابه قلب الجزيرة، وعمر رضا كحالة فى مؤلفه معجم قبائل العرب وكتابى الحقيل زهر الأدب وكنز الأنساب ونص على ذلك مؤلفون كثيرون واتفقوا أن آل سعود من أصل عريق ينحدر من ربيعة الفرس أى نبيل أصيل، ومن مؤلفى الغرب بوركارت والمستشرق لاوست ونص أمين الريحانى فى بعض مؤلفاته أن ال شعلان وآل هذال العنزيين بنو عم عبد العزيز وقال إن عبد العزيز

(١) فؤاد شاكر : دليل المملكة العربية السعودية ، ص ٢٠.

(٢) حمد بن إبراهيم الحقيل : عبد العزيز فى التاريخ ، ص١٥.

صرح بذلك فى مجالسه ، وقال السيد «هج بريد جسن» إن القبيلة التى ينتمى إليها عبد العزيز هى عنزة، وفى التقرير الحديث الذى وضعته المخابرات البريطانية « قال إن جد الملك عبد العزيز من الأحسنة من عنزة نسب عريق نبيل» وفى كتاب دوتى « ومن الأحسنة الأسر الشهيرة من أمراء نجد الشرقية أبناء سعود » قال بعض الكتاب ولد عبد العزيز فى الرياض عاصمة أجداده فرأى عمومته يتنازعون الملك ويتحاربون ورأى العدو على باب العاصمة ، وهو يطمع فى الاستيلاء على نجد أجمع، ورأى أباه يحارب فى الوقعة الأخيرة ويستسلم إلى الله ثم سمعه وهو جالس إلى جنبه فى الإحساء يرفض شروط الدولة العلية، فسدت أمامه الأبواب كلها إلا الباب إلى الصحراء. فلجأ إلى خيام الشعر وهو مثل أصحابها لا يمتلك متراً من الأرض وليس له غير تلك الثقة الوطيدة العالية، الثقة بالله التى هى كنز الأعرابى الأكبر، ثم سكن الأب الكويت وصار الصبى شاباً ، فكانت الذكرى الأليمة رفيقة أفكاره وسميرة أحلامه، قرأ شيئاً من العلوم هناك وهو يفكر فى الملك المفقود، وجلس أمام البحر وهو لا يدرى إلى أين تحمله الأقدار، ثم نظر إلى البادية وهو يهجس بالملك المفقود ، عاشر العلماء والأمراء وجلس ساكتاً متأدباً فى مجلس الشيوخ ، وهو يحلم بالملك المفقود، فتح الكتاب ثم ألقاه جانباً وهو يرمق السيف بنظرة كلها شوق وأمل، عاش مجهولاً فى الكويت مجهولاً إلا فى الاسم والنسب، وفيما يبدو للعين المجردة فقد كان الناس يعرفون أن ذاك الشاب القوى البنية الطويل القامة البراق العينين هو عبد العزيز بن عبد الرحمن الفيصل، وما كان كبار القوم فكراً وسياسة وفراسة ليسعرفوا أكثر من ذلك ، بل كانوا كلهم فى ظلال سور الغيب، جهلوا ما كان يجهله حتى أقرب الناس إلى عبد العزيز، حتى أبوه وأمه جهلوا ما كان يجهله التاريخ، جهلوا ما كان يجهله الشاب نفسه، جهلوا ما لم يكن يعلم به إلا الله عز وجل .

ولقد تميزت شخصية الملك عبد العزيز بمميزات حركية، ترتبط بمميزاته الجسمية، وتشتمل على ما اتسم به من جلد ومثابرة ومهارة وحذق، إلى جانب ما اتسم به من مميزات عقلية ظهرت فى قدرته على مواجهة المشكلات، وعلى التعلم والتذكر ، والتخيل الإبداعى ، وحصافة الرأى وسلامة الحكم، وقدرة عامة على التكيف .

والحق يقال ، على حد تعبير الأستاذ محى الدين رضا: « إن الملك عبد العزيز من أعظم رجال العالم قديماً وحديثاً، فى التدبير وإحكام الخطط والدهاء، وهو رجل عرف بالسهولة، فهو سهل فى أعماله ، سهل فى كلامه ، سهل فى بساطته، يلقى على مجالسيه درساً فى الدين والحكمة بعبارات هى السهولة بعينها وحقيقتها، تدلك على ذكاء حاد، وبعد نظر منقطع النظير، وعزيمة حديدية.

وتتجلى لك بساطة مظهره عندما تلقاه، فهو بسيط فى ملبسه ومأكله ومشربه، وسائر أحواله المعيشية ، وهو فوق ذلك صريح فى خطابه لك، فهو يصرح بأنه لم يدخل المدارس والجامعات ولا تعلم هندسة الكلام والتلاعب بالألفاظ، ولكن لا يبعد ذلك عنك أنه تلاعب بالممالك والبلدان، وكسب ما أراده بأقل ما يمكن من الرجال، وسفك الدماء، وعلم الأساتذة والعلماء، أعظم درس فى قوة الإرادة، وكيفية النجاح من أقرب سبيل وأحكمه.

وإذا كان من المقرر، أن الفرصة تمر بسرعة ، وأنه من المتعذر على غير الرجل الحازم اليقظ أن يهتبلها، تبين لنا أن عظمة هذا الملك الهمام، لم تأت من باب المصادفة ، وتحين الفرص، وإنما أتت لأن جلالته فكر ودبر، ودرس وسعى ، عمل بعد ما استخار الله واعتمد عليه جل جلاله ، فسهل له ما كان عسيراً، وبذلك استرد ملكاً ضيعه أهله، فأعاده وزاد عليه، بحكمته وفروسيته وحلمه وشجاعته.

وإذا اعتقد كثير من أبناء هذا العصر، أن الظروف والفرص هى التى تسبب النجاح للناجحين، فإننا نعلم علم اليقين والخبرة، أن الملك عبد العزيز امتاز بمميزات عظيمة جعلته يوجد الفرص ويقتنصها ، ويذلل كل صعوبة ويسيطر على كل عسير بما امتاز به من إرادة قوية، وتصميم محكم، لا يتطرق إليه الضعف ولا التردد ، ولا يعرف الجبن ولا الهوادة ولا الخور.

امتلأت نفس الملك عبد العزيز بالتدين، والأسوة الحسنة ، التى اقتبسها من سيرة النبى ﷺ والخلفاء الراشدين ، وسائر عظماء قواد المسلمين رضى الله عنهم، بما قرأ من تلك السير ، وحدث عنها، وضم إلى ذلك إرادة قوية ، واعتماداً على النفس، التى تنزهت عن

الهوى ، وتعلقت بالله عز وجل، وأخلصت للعزة الإلهية النية والعمل، ففاز أيما فوز، وصار مضرب المثل فى فوزه، وسعة ملكه وإحكام سلطانه.

وكون الملك عبد العزيز لنفسه منذ صباه خلقاً متيناً، ومبادئ شريفة، بما اقتبسه من دراسته، وألعاب الفروسية، وما إليها، مما بعثته فيه نفسه العالية، وتدينه وتجوله فى الصحاري، التى سارت فيها النبوة الطاهرة،تلك الصحارى التى تبعث فى النفس الرهبة والهيبة والجلالة، والإيمان بعظمة الخالق، ومقدار سلطانه على النفس.

جلس الملك عبد العزيز، يفكر فيما كان عليه آل سعود من عز ومجد، وما صارت إليه حالتهم فى إبان صباه، وعزفتونه، بعد ما طاحت بملكهم الأيام، وصاروا مشتتين فى البلدان، وضيوفاً على غيرهم، وقد اشتهروا هم فى أيامهم، بإضافة الضيوف، وإكرام كل محتاج، فعز عليه ذلك، وانبعث الطموح فى نفسه العالية، وصادف ذلك الطموح قوة حديدية، وميلاً عظيماً إلى الكمال وهو الفتى القوى وصاحب الإرادة الفولاذية.

أراد الله -سبحانه وتعالي - أن يخلق من الفتى عبد العزيز، شخصية ممتازة بالثبات وعدم التردد، فاطرح الكسل والإهمال، وعمل أعمالاً سجلت اسمه فى صفحات المجد، وجعلته من الذين يقدرون ما يريدون ويملون إرادتهم على من يشاءون ، وساعده على ذلك ما امتاز به من ذكاء نادر، وما تمتع به من حزم، مما جعل ذلك الفتى يذلل كل صعوبة، وجعلت أعماله الغر الميامين، تندفع كالشهاب الثاقب للنور والإصلاح، وليس للتخريب والهلاك، وإذا اجتمعت الإرادة والذكاء وعززتهما الشجاعة، وتحلى صاحب كل ذلك بالدين، والإخلاص لله عز وجل ، اندفعت من هذه القوى جحافل العظمة، فمهدت الوسائل والأسباب، وجعلت العالم ينظر إلى أعمال البطولة ، نظرة الإكبار والإجلال، وأن البطل الجدير بلقب البطولة، هو الذى إذا قرر عملاً، بعد تثبته من صحته، اندفع إليه كالسهم الصائب، لا يلويه عنه شيء مطلقاً، فالبطل لا يعرف التردد، مهما اعترضه من صعوبة وهل يعرف أبناء هذا الجيل، أن صعوبة ما، استطاعت أن تقف فى طريق ملك المملكة العربية السعودية، الملك عبد العزيز آل سعود، منذ ما اندفع كالسيل الجارف ، وهو فى سن الفتوة لاسترداد ملك آبائه؟! لقد كان هو البطل الموفق، فى جميع أعماله ومشروعاته، منذ نعومة أظفاره، حتى لحظة وفاته، وذلك من فضل الله على

مملكته، وعلى سائر بلدان العروبة والإسلام، وهو حامى حمى الحرمين، ومؤمن الحجاج على قبلتهم ومهوى أفئدتهم».

وترتبط بميزاته الحركية والجسمية، قدرته على التكيف ومواجهة المشكلات، وهذه المميزات الحركية والجسمية هى التى جعلت موظفى «الديوان الملكي» يقولون إنهم قد يضبطون ساعاتهم على تنقلات الملك وأعماله اليومية المعتادة، كخروجه من قصره الداخلي، وعودته إليه، وجلوسه للنظر فى الأعمال، وقيامه للنزهة، وابتدائه السهرة، وغير ذلك، فهو من أشد الناس، بل أشدهم محافظة على برنامج عمله، حتى فى أسفاره وأيام كانت مطاياه ظهور الخيل والإبل[1] .

«اعتاد أن يستيقظ قبل الفجر بنحو ساعة، فيقرأ سوراً من القرآن الكريم، ويتعبد ويتهجد، وكثيراً ما يُسمع له نشيج، ويستمر إلى أن يؤذن الفجر، فيصلّى الصبح مع «الجماعة» ويسبّح ويقرأ ورد الصباح، ويدخل فيضطجع إلى أن تشرق الشمس، وينهض فيغتسل ويلبس ثيابه ويفطر ، ثم يخرج إلى المجلس الخاص فتعرض عليه مهام الحكومة فى فترة غير طويلة، يأذن بعدها بالمقابلات الخاصة لكبار الزوار، ثم ينتقل إلى المجلس العام، حيث يدخل كل من يريد مقابلته ويمكث نحو ساعة، فإذا اقترب وقت الظهر نهض للغداء، ومنه إلى القصر فيستريح قليلاً، ثم يصلى الظهر مع الجماعة، ويعود إلى مجلسه الخاص، فيُعرض عليه ما تجدد من الشؤون العامة، إلى صلاة العصر، ويجلس بعدها لإخوانه وأولاده وأقاربه وكبار الموظفين، ثم يخرج بسيارته إلى ظاهر المدينة للرياضة ، ويعود بعد صلاة المغرب.

وبعد العشاء يجلس فى مجلس شبه عامّ، وهناك يحضر «القارئ» فيتلو فصولاً من كتب مختلفة فى الحديث والتفسير والتاريخ والأدب، كما تقدم، وبعد قليل، يدخل قارئ الإذاعة العربية فيتلو ما التقط من محطات الإذاعة الشرقية من متنوع الأخبار، ويأتى بعده قارئ الإذاعات الأجنبية، وقد ترجم أهمّ ما أذيع ويتكرر دخول قرّاء الإذاعات فى الضحى، وبعد العصر، والهزيع الأول من الليل .

---

(١)الزركلى : السابق ص ٦١٩ وما بعدها.

«وفى نحو الساعة الرابعة عربية (العاشرة زوالية) مساء ينفض المجلس بنهوض الملك عائداً إلى القصر، بعد أن يتلطف بكلمات، يختمها بتحية الجميع : السلام عليكم».

وفى كتاب «الملك ابن السعود» عادات وصفات ما خلاصته عن حاله فى بدء عهده : إذا كان عبد العزيز فى غزوة، فخيمته البسيطة التى لا تختلف كثيراً عن خيام جنده هى بيته، وكل فراشه فيها قطعة من الصوف تفرش على الرمل.

وإذا نام فرفيقه فى نومه سيفه ، أيسر حركة توقظه ، بل تحمله على أن يتصرف كأنما هو فى أتم يقظته.

«وقد عَوَّدتْه حياة الكرّ والفرّ أن يستيقظ من نومه فجأة، ليثب على جواده المربوط عند باب خيمته، ثم ينطلق كالريح إلى حيث يريد.

وهو فى أشد الساعا ت برداً، يكره إيقاد النار بجواره للتدفئة.

وإذا تحدث، فهو يتحدث بسرعة عظيمة، ومن لم يكن نجدياً لا يكاد يفهم ما يقول إلا بمشقة.

وقد تراه فى ساعات العمل، بينما يحدث هذا يلتفت إلى ذاك ويقول له كلاماً ثم يعود إلى الأول، فيستمر فى الحديث معه من النقطة التى ترك الكلام عندها.

وذاكرته قوية، فهو لا ينسى شخصاً ولا ينسى قولاً، مهما يطل عليه الزمن.

وهو مع سرعة حديثه، محدّث بارع، مرتب الأفكار، حاضر البديهة سريع الخاطر، وأمره الشفوى هو بمثابة «المرسوم » المسطور»[1].

وقد أدت هذه المميزات فى شخصية الملك عبد العزيز إلى أن يؤرخ الناس بوقائعه كما يذكر الزركلي:

١- سَنَةَ الأشْعَلى.

قال ابن بلهيد[2] فى حديثه عن «الأشعلي» : وهو أكثبة رمال متراكمة، قرب «نواضر

(١) الزركلى : السابق ، ص٦٣٧.
(٢) صحيح الأخبار ٥:١٧٣.

«نواضر التى بين القَصيم وحائل ، فى شمالى نجد، دارت فيها معركة بين الملك عبد العزيز، وسعود بن رشيد وهُزم ابن رشيد، وكانت المعركة ليلاً، فى ٥ ربيع الأول ١٣٢٧م (٢٩/ ٣/ ١٩٠٩) ولم يزل أهل نجد يؤرخون بها، يقولون : حدث كذا سنة الأشعلي، وحدث كذا بعدها أو قبلها، كعادة العرب فى كبار الأحداث.

٢- سَنَة المَشْقوق.

وقات أيضا[١] ما مؤدّاه : أغار الملك عبد العزيز سنة ١٣٣٠ هـ (١٩١٢م) على إبل للحُفاة، وهم بطن من الرُوقة من عتيبة، فى موضع يسمى «مشقوق الخَلَف» فساق الإبل «نكالاً لهم» فأصبح تاريخ هذه السنة عند الرُوَقة«سنة المشقوق» وإذا سألتهم : أيّ مشقوق؟ قالوا : الذى أخذ به ابن سعود الحُفاة.

٣- ذَبْحة ابن رَشِيد

وظلت البادية زمناً ، تؤرخ بذبحة ابن رشيد (عبد العزيز بن متعب) وكان مقتله فى معركة مع ابن سعود سنة ١٣٢٤ (١٩٠٦م) وقد تقدم خبرها[٢] .

٤- يوم ابن رفادة .

ومثل ذلك : يوم «ابن رفادة أباد فيه عبد العزيز جَمْع حامد بن سالم بن رفادة، فى سفح جبل «شار» على مقربة من «ضُبا» فى ٢٦ ربيع الأول ١٣٥١هـ (١٩٣٢م)[٣]

٥- يوم السبَلَة

ومثله يوم «السبلة» فى ناحية الزّلفي، قضى فيه عبد العزيز على جموع الغلاة من «الإخوان » فى ١٩ شوال ١٣٤٧هـ (١٩٢٩م)[٤].

أرخ قلب الجزيرة بهذه الوقائع وأمثالها، وذلك شأن البادية والأفذاذ من فرسانها، ليس فى جزيرة العرب وحدها، ولا فى أيام عبد العزيز وحده بل فى مختلف الأقطار والعصور.

---

(١) صحيح الأخبار ٤:٢٦٩.
(٢) انظر الصفحة ١٦٩-١٧٢.
(٣) انظر ٥٥٧.
(٤) انظر ٤٨٨.

وهذه صورة رسمها عبد الرحمن عزام[1] بقلمه للملك عبدالعزيز تكشف عن مميزاته الجسمية والحركية والعقلية يقول :

«نشأ مطارداً فى أرض آبائه وأجداده، فعلت همته على مصائب الدهر، فصارع خصومه، واعتمد على الله، ثم على خلق قويم ونفس سمحة، وعزة فى دهاء، وشدة فى حلم ورحمة، فجمع جزيرة العرب التى لم تجتمع إلا فترات قصيرة بعد ردتها أيام أبى بكر رضى الله عنه، وأمنها وتربّع فيها، وليس فى يده إلا سيفه وكتاب الله عدته، وقد عرفته منذ قرابة ثلاثين سنة : هو هو الرجل الذى يملأ سمع الدنيا وبصرها.

كان متعدد الجوانب كامل الرجولة، لا أعرف أن أحداً التقى به من خصومه أو مواليه إلا أثر فيه بشخصيته التى لم يجد التاريخ إلا استثناءً بمثلها.

عرفته وهو لا يملك من المال لإدارة هذا الملك الواسع إلا الكفاف.

وعرفته والدنيا تفيض بين يديه خيراً وبركة، فلم يكن إلا عبد العزيز بن سعود.. ولد سيداً ومات سيداً.. يعطى كل ما يملك من القليل، ويعطى كل ما يبدء من الكثير.

لا يعرف المنّ والأذى. كان رجلاً، إذا أخذت الأمور على طبائعها فإنه ليس إلا شيخاً كبيراً فى قوم من البدو.

بلاده ومن فيها تعيش فى القرون الوسطى، ولكنه بشخصيه وبما أودع فيه من مهابة واستقامة وروح شعاعة، استطاع أن يلفت أنظار الدنيا كلها إلى شخصه ، ثم إلى وطنه ، ثم إلى العرب كافة.

لم يكن يملك جيشاً ولا مالاً ولا سلطاناً يساوى شيئاً مما كان لشخصه فى النفوس، فى العالم الجديد والقديم.

كانت قوته فى إدراكه العميق للب المشاكل، وإلهامه للصواب فى حلها، وتوفيقه فى أن يعتمد على مشورة من يتفرس فيهم من الرجال أولى العزم والصدق فكان حسن الاختيار فى أعوانه، ولا يطلب من هؤلاء الأعوان أن ينزلوا عن قدرهم إلا كما ينزل

(١) من مقال له بعد وفاة الملك «عبد العزيز» نشر فى جريدة المصرى ، بالقاهرة فى ١٢/ ١١/ ١٩٥٣.

الولد المحب لأبيه، فكان أمره شورى لا أعرف أنه صدر فى مشكلة برأى قبل أن يقلبها مع أولى الرأى فى قومه، بل وكثيراً خارج بلاده وقومه.. فأوتى الحكمة فى تصرفاته، حتى ظنها الناس سعداً له وحظاً موفوراً. ولا أعرف رجلاً كعبد العزيز، جندياً سال دمه مقاتلاً، يمتلئ بالرحمة لأعدائه وقد انتصر عليهم فتاريخه كله سلسلة من الفروسية والرحمة لخصومه.

كنت فى سنة ١٩٣٨ ضيفاً له، فى شمال نجد، وبقينا أياماً فى البادية للقنص، وكلما جلسنا إلى طعام وجدت حوله من قاتلوه.. أو قاتله آباؤهم، يمرحون معهم ويشاركهم فى قُوته وماله ومتاعه، وهو يتفكه بقصصهم وقصص آبائهم معه، والهزائم التى ابتلى فى قتالهم، والنصر الذى آتاه الله عليهم، ويُقسم أنه يراهم كما يرى أبناءه، ولا يرضى فيهم إلا ما يرضى فى أبنائه. وفعله معهم هذا، أكبر دليل على صدقه، فقد عاش أمراء جزيرة العرب وشيوخها الذين استولى على ملكهم، أعزاء فى كنفه، تحميهم كلمة التوحيد، وتصون حقوقهم تلك الروح التى لم يجد الزمان بمثلها ، روح عبد العزيز السامية وعقله الكبير وحلمه وتواضعه وخوفه من الله سبحانه وتعالى.

كان روزفلت طاغية يصرف الأمم ويملك كنوز الأرض، وقع فريسة لليهودية العالمية، سنين طويلة، يتصرف فى شؤون العرب وفلسطين وفق أهواء الصهيونية العالمية، حتى التقى بابن سعود ، على باخرة فى الإسماعيلية بقناة السويس، فحدثه ثم شدّ يده وعاهده على ألا يعمل فى حياته ضد المصلحة العربية، وأنه لن يعمل عملاً قبل مشورة العرب، والتقيت معه بعد ذلك بيوم، فى أوبرج الفيوم، فأخبرنى بما كان بينه وبين روزفلت، وما ظننت أن روزفلت يصدق حتى تجلت لى الأمور فى أميركا بعد ذلك بسنين وعلمت أن روزفلت خرج من لقائه لعبد العزيز بن سعود وهو شخص آخر بالنسبة لشعوره وفكره نحو العرب، وقد يكون من سوء حظ العرب أن روزفلت لم يعش بعد الحرب.

ولم يكن عبد العزيز بن سعود وقتئذ يملك الجيوش ولا الأموال ولا فاض على بلاده زيت الجزيرة.، ولكن شخصية عبد العزيز ، قبل كل شيء، هى التى جعلت من مثل روزفلت وتشرشل وحتى هتلر، قبل ذلك، وموسولينى طلاباً لوده فخورين بالصلات التى يقيمونها معه.

ولا أعرف أجنبياً في أوروبا، أو أمريكا ، سياسياً، أو عسكرياً أو تاجراً أو صحفياً قابل عبد العزيز بن سعود، ولم يترك في نفسه أثراً باقياً على مر الأيام.

استلم ملكاً ضائعاً فجمعه، وبلاداً خربة فعمرها، وأمناً مباحاً فأقره، وشعباً جائعاً ففاض بين يديه الرزق، فهو ليس رجلاً عظيماً فحسب، ولكنه رجل مبارك كذلك، فقد كان ما بينه وبين الله عامراً ..»

ومن آثار مميزاته الجسمية والحركية والعقلية أنه كما يقول الزركلي[1] لا يلقى القول جزافاً ، وقد سُمع في مناسبات متعددة يقول إنه لا يرى نفسه أكثر من «أب » لأسرة كبيرة - هي شعبه- وإنه مسؤول عن هذه الأسرة أمام الله .

وإذا عرفنا من سيرته، في الأيام العصيبة على الخصوص، كالحربين العالميتين، وأيام انحباس الغيث عن رعاياه، أنه كان يبادر إلى ما في خزانته الخاصة وخزائن الدولة من مال، فيأمر بالإنفاق منه على إطعام القبائل المجدبة أرضها، وعلى الأفران تمون بالدقيق لتوزيع العيش (الخبز) على أهل المدن مجاناً، لم نشك في أنه يعنى ما يقول من أنه «أب» لأسرة.

وهو يعبّر عما في قرارة نفسه، حين يكرر في خطبه القول المألوف «الملك لله وحده» فيقف عند كل كلمة منها، متجرداً أمام ربه من صفة «المُلك» وقد أعقبها في إحدى خطبه، بقوله : «وما نحن إلاّ خدم لرعايانا..».

كان الملك عبد العزيز يصغى إلى الكبير والصغير من شعبه، يستمع إلى أحاديثهم ويشارك المسرور منهم في سروره، ويتوجع لألم المحزون، فينسون أنهم بين يدى ملك «يتمتع بحقوق السيادة» ولا يشعرون إلا بأنهم بين يدى «أب» .

ويذكر الأستاذ محى الدين رضا عن الملك عبد العزيز، أنه كان يمثل روح الأبوة في قومه وعشيرته وشعبه، بأجلى معانيها، بل إن أبوته الصادقة ، كانت تتجلى منه على حكومته كذلك؛ إذ كان ينظر إلى كبار موظفي المملكة وصغارهم، من الذين لهم ارتباط

---

(١) الزركلي : السابق.

بجلالته، يجعلهم يمرون من حوله، ويقع بصره عليهم، كأبناء له، يخاطبهم على هذا الأساس، ويوجههم عليه كذلك، وإذا احتاج لأحدهم فى أى ساعة من ساعات النهار أو الليل دعاه إليه، وحدثه الحديث اللازم، وأفضى إليه بالمعلومات المناسبة، وهذا فعل والد الأسرة مع أولاده وليس فعل رئيس لمرؤوس.

أما كرمه فى إبان الحرب الضروس الماضية، فحدث ولا حرج ، وما ظنك بملك اشتهر بالكرم، وتحدث بكرمه الخاص والعام، وقد تعود أن يعطى الأعطيات الكثيرة فى زمن السلم، وإبان الرخاء، وأن يمد موائده فى كل مكان للجائع والمسكين فكيف به وقد اشتدت الأزمة فى العالم، وقلت مقدرة الناس على الشراء؟ فقد بلغ من إيثاره للشعب، أن منع نفسه وحاشيته الخاصة من أداء فريضة الحج فى إبان الحرب، وحسب ما ينفقه عادة فى هذه الرحلة، وهو مبلغ كبير ، وأمر بأن ينفق على المحتاجين فى بلاده الواسعة، ولا سيما فى الأرض المقدسة، وأخذ يفكر فى تنظيم الإحسان الذى يضمن به تغذية الشعب، فهدته فطرته السليمة ، إلى أمور: منها أن يرتب صرف خبز يومياً للمحتاجين ، ونفذ أمره الكريم، مدة أربعة أعوام. ولما سمع الشكايات من كيفية التنفيذ، أشرف على الأمر بنفسه، فى مدة موسم الحج ، فأحضرت أمامه كمية من الدقيق، وعجنت وحسب كمية الخبز منها، وأمر بإحضار كمية من الحبوب، فطحنت وعجنت وخبزت، وأحصى الناتج منها، وبذلك ارتاح إلى أن ما يأمر به جلالته من الصدقات، يوزع من غير ظلم على المحتاجين، بشكل رضيت له نفسه العالية.

ومما يصح أن يذكر هنا، أن بعضهم شكا إلى جلالته من أن الصدقات يصل كثير منها إلى غير المحتاجين، فقال : «إنى لا أمنع خبزى عن أحد ممن يقبله، ولكننى أشدد فى أن يصل كذلك إلى المحتاج، وإلى كل من يقبله من فقير ومحتاج وغيرهما، فأنا أود أن يدخل خبزى إلى منزل كل محتاج[1] .

بل إن عبد العزيز كان حريصاً على أن يلقن أبناءه الصفات العربية الأصيلة، ومن ذلك ما يذكره الزركلى أنه «بينما كان فى إحدى نزهاته بالرياض ، ومن خلفه فى

(١) المرجع نفسه ، ص٣٠.

السيارة: أخوه الأمير عبد الله بن عبد الرحمن والسيد حمزة غوث، وأنا، ومعنا أحد صغار أبنائه الأمير «عبد المجيد» وسنّه يومئذ حول الخامسة، أعطاه عبد العزيز قبضة من الأريل، وارتقب ماذا سيفعل بها، وبدأ عبد المجيد يلعب بالأريل.. فقال له : اعط إخوانك يا عبد المجيد، فوزعها علينا، ونحن بدورنا دفعناها للعبدين الواقفين على رفرف السيارة من الجانبين، وادخر السيد حمزة بعض ما أخذ فدسه فى جيبه.. وبعد هنيهة التفت الملك عبد العزيز سائلاً : أين الأريل يا عبد المجيد؟ فمد هذا يديه فارغتين فقا ل: أنفقت ما معك ؟ قال : أى . قال : لا تخف ، يعوضك الله عنها، وأعطاه غيرها، وما زال يعطيه والأمير عبد المجيد يوزع، حتى أدركنا أن الأب يلقن الأبن درساً عملياً فى الكرم، ويشعره من الطفولة بأن الجود لا يفقر[1] ..

وربما تجمع للرجل كل ما فى «طبيعة الجندي» من الخصائص وبقيت «محبوسة فيه لا يدرى بها الناس إلا أن يأتى بعمل ينم عليها، فيدين نفسه بطبيعته تلك ولا يدين غيره، ويكون مطبوعاً على أن يطيع ولا يكون مطبوعاً على أن يطاع، وإذا جاءته طاعة المطيعين له فإنما تجيئه من سلطة النظام وحكم الشرع وغلبة العادات، لأن الشجاعة مثلاً لا تلازم الهيبة فى كل حال، فقد يكون الشجاع مهيباً ويكون غير مهيب، بل يكون أحياناً ممن تقتحمهم الأنظار ويجترئ عليهم المستخفون»[2].

ولقد تمثل الملك عبد العزيز من مقومات الشخصية الإسلامية كما صورها العقاد:«ألا يكون له شعار غير شعار الجند حيث كانوا : الأمر هو الأمر والطاعة هى الطاعة.. وخليق بالناس أن يفهموا ذلك عنه بغير بيان، لا سيما إذا فهموا قبل ذلك أنه متى وجبت الطاعة كان هو أول من يطيع.. ذلك هو الجندى المطبوع.. جندى من جنود الله فى معترك الحق والإيمان.. وإذا استوفينا المثل إلى أقصاه، فالقانون المطاع هو القرآن، والقائد الأعلى هو النبى الذى يوحى إليه، وليس أحد بعد ذلك أكبر من يطيع .. يأمر الله فالطاعة واجب لا هوادة فيه »[3].

«ولذلك كان لعلماء الدين المقام الأول عند الملك عبدالعزيز، يقدمّهم على إخوانه

---

(١) الزركلى : السابق ، ص١٤٢٧.
(٢) العقاد : المرجع السابق ، ص٦٨.
(٣) المرجع نفسه ، ص٧٠.

وأبنائه وكبار جلسائه، ويصغى إلى آرائهم ويبالغ فى إكرامهم، وقلّ أن يجادلهم فى أمر يرون فيه ما لا يرى قبل أن يفسح المجال لهم للمناقشة فيه فيما بينهم، فإن انفرد بعضهم أو أحدهم بما يوافق رأيه، لم يعجل فى الأخذ بما قال، وتريث إلى أن يقنع الآخرون.

وعوّدهم إذا بدا لهم أمر، ورأوا فيه «النصيحة» له، أن يجتمعوا فيما بينهم، ويكتبوا خطًا «كتاباً» يذيلونه بتوقيعاتهم، ثم يحضرون لمقابلته.. أو يكلفون واحداً منهم أن يعرضه عليه، بالنيابة عنهم، فيرى فيه رأيه. و«الشيوخ أبخص» كما يقول جمهور النجديين، أى : الملك أدرى.

وكان لكبارهم هيبة فى نفسه، لا يصطنعها ولا يتعلّمها ، ولا سيما **آل الشيخ** ، حفدة من قامت على دعوته دعائم المملكة فى سابق عهدها، سُمع مرةً يقول : ما لقيت الشيخ - يعنى عبد الله بن عبد اللطيف- إلا تصبب العرق ...

«على أن هنالك ما لا ينبغى إغفاله.. وهو أن الملك عبد العزيز كان يعلم أن المرأ عدوّ ما جهل، ويعلم أن أكثر من عارضوه فى استخدام الآلات الحديثة، إنما كانوا يَصْدرون عن نيةٍ حسنة، ويعلم أن هؤلاء ذوى النيّات الحسنة خاصة، لم تكن معارضتهم ، لرغبة فى الشغب، أو لعرقلة تقدمه الاجتماعى والنظامى بالدولة، بل يعارضون، لأن الواجب يفرض الإخلاص للإمام، وأن ينصحوه فيما يعن لهم.

ولا شك فى أنه بعد أن رسخت دعائم الدولة ، كان من اليسير عليه أن يقابل المتدخلين منهم فيما لا يعنيهم، بالإعراض، ويتابع سيره فيما يعتقد صلاحه لبلاده، ويأخذ متشدديهم بالزجر . ولكن الملك عبد العزيز الحكيم المتأني، الحريص على أن تلتف قلوب الناس حوله قبل جسومهم، كان يُكبر - فى دخيلة نفسه - جرأتهم، ويُجل صراحتهم، ويطيل التفكير فى حلّ عقدهم النفسية، ويلتمس العذر لمن عادى ما يجهل منهم، ويُقدّم الإقناع على الإسراع. فعمد إلى شتى الوسائل لإزالة ما علق فى أذهان فريق منهم من أن الآلات الحديثة ضرب من السحر أو عبث من الشيطان، فلما أدركت كثرتهم، يُطلان ذلك مضى فى سبيله يبنى ويجدّد ويصلح[1].

---

(١) الزركلى : السابق ، ص١٠٤٣.

وبهذا المنهج القويم للشخصية الإسلامية تيسر لعبد العزيز أن يقدم نموذجاً للبناء الحضاري، استطاع بدوره أن يغير مجرى تاريخ الجزيرة العربية وأن يقودها في الطريق الذى انتهت إليها فى هذا الملك الشامخ الذى غير معالمها، وبدل طراز حياتها ومد عليها رواقاً من العزة والسؤدد .

ويعنى د. رشاد فرعون بهذا الحدث.. حدث دخول الملك عبد العزيز إلى مدينة الرياض، واسترداده ملك آبائه وأجداده:

«وما كان لهذا الحادث أن يعد ضرباً من المعجزات لولا أنه نقطة الانطلاق فى إنشاء المملكة العربية السعودية ولو أنه عمل فذ فريد يفتح فى تاريخ الجزيرة العربية فصلاً مشرق الصفحات يخط الجهاد والكفاح كلماته، ويشيع المجد الأغر بين سطوره.

شاب فى عنفوان الشباب جرده الزمان من كل شيء إلا إيماناً راسخاً كالجبال يعمر قلبه وعزيمة كالسيف مضاء يحدواه إلى استرداد الملك الضائع وإعادة العرش المثلول.

يخرج من الكويت فى قبضة من الرجال إلى غايته وهى غاية بعيدة المنال عزيزة المطلب، عدو عنيد قوى الشكيمة ، وافر الجند كثير الأعوان وصحراء قاحلة لا ماء فيها ولا ظل ودسائس تحاك فى الخفاء . كل ذلك يقف بين عبد العزيز وما يريد.

أتراه يلين لهذه الصعاب وتهن عزيمته أمام هذه المخاطر فينثنى عن غايته ويختار الحياة الهنية اللينة على ذل الأسر ومهانة المنفى ؟ أم تراه يمضى قدماً وراء هدفه يحققه أو يهلك دونه؟

حاشا للرجل العبقرى العظيم أن يستجيب لغير العظيم من الأمور أنه يعرف ما هو مقدم عليه ولكن له من إيمانه عاصماً يجنبه الضعف ويقيه التخاذل. لقد عقد عزمه على أمر ولابد من تحقيقه.

وما هى إلا أيام حتى يعبر عبد العزيز وعصبته الصحراء ويشرفون على الرياض.

لقد صهرتهم الصحراء فجلت معدنهم فصاروا وكل واحد منهم كنصل السيف كلهم صادق العزيمة ثابت الجنان وعلى رأسهم قائد لا كالقادة يسير أمامهم فى الطليعة يطعن قبلهم وتناله الطعنات قبلهم أيضاً فإذا كشفت عن جسده رأيت تاريخ المملكة

مخطوطاً عليه بندبات جراح تجاوب الثلاثين كل واحدة منها تشير إلى معركة خاضها لتشييد الملك الواسع. إن هذا الفتح العظيم إنما هو في الحقيقة مفتاح شخصيته وسر عظمته، إنه وحده يكفي ليفسح له في التاريخ مكاناً بين العباقرة وعظماء القادة والساسة، إنه يجمع إلى الجرأة والإقدام، سداد الرأي وحنكة القيادة ورسوخ الإيمان وثبات الجنان. إنه بداية سلسلة طويلة من الكفاح والقتال امتدت ثلاثين سنة.

وبعد أفما أثبت التاريخ أنها كانت نقطة التحول في تاريخ الجزيرة العربية الحديث وأول الشوط في إنشاء المملكة العربية السعودية الممتدة من بادية الشام إلى الربع الخالي، ومن الخليج العربي إلى البحر الأحمر.

وإن هذا الرجل العظيم الذي أنشأ هذا الملك الواسع كان يشرف على إدارته بنفسه ويطبق فيه أحكام الشريعة الإسلامية بالعدل لا يعرف في أداء رسالته محاباة ولا مواربة .. بابه مفتوح لكل شكوى لا يحجبه عن رعيته حارس ولا حاجب. وكم من مرة رأيت بأم عيني رجلاً من أفراد الرعية يستوقف موكب الملك ليرفع إليه ظلامته فيسمع له وينصفه إن كان مظلوماً».

«وإن الذين عاشوا إلى قرب جلالته قد خبروا فيه إلى جانب الصفات النادرة التي يتجلى بها الديمقراطية الصحيحة التي لا يشوبها شيء من تلك المراسم التي تلازم الملك وتقترن بكل عرش وتاج.

ومن خطبة للملك العزيز يتأكد لنا هذا المعنى الكامن وراء البناء الحضاري في المملكة العربية السعودية؛ حيث يقول[1].»

«أنا مبشر أدعو لدين الإسلام، ولنشره بين الأقوام.

«أنا داعية لعقيدة السَّلَف الصالح، وعقيدة السلف الصالح هي التمسك بكتاب الله وسنة رسوله وما جاء عن الخلفاء الراشدين، أما ما كان غير موجود فيها، فأرجع بشأنه إلى أقوال الأئمة الأربعة، فآخذ منها ما فيه صلاح المسلمين.

(١) أم القرى ١١ ذي الحجة ١٣١٥هـ.

«أنا مسلم وأحب جمع كلمة الإسلام والمسلمين .. وليس أحب عندى من أن تجتمع كلمة المسلمين، ولو على يد عبد حبشي، وإننى لا أتأخر عن تقديم نفسى وأسرتى ضحية فى سبيل ذلك .

«أنا عربى ، وأحب قومى والتآلف بينهم وتوحيد كلمتهم، وأبذل فى ذلك مجهوداتي، ولا أتأخر عن القيام بكل ما فيه من المصلحة ، وما يوحد أشتاتهم ويجمع كلمتهم.

«أنا مسالم ومدافع ، أنا مسالم للناس وأحب النصيحة قبل كل شيء، لأن الدين النصيحة لله ولرسوله ولأئمة المسلمين وعامتهم، وأنا مدافع، لأننى ما حاولت فى وقت من الأوقات أن أعتدى على إخوانى وأبناء قومي، وكنت فى كل وقت أقابل ما يصدر إلى منهم. من إساءة أو خطيئة ، بصدر رحب ، على أمل أن يرجعوا إلى الصواب، ولكننى إذا رأيت تمادياً فى الغيّ والإساءة أضطر حينئذ للدفاع».

ومن خطبة له بمكة يقول:

«أنا بذمتكم .. وأنتم بذمتي..إن الدين النصيحة . أنا منكم وأنتم مني، هذه عقيدتنا فى الكتب، بين أيديكم ، فإن كان فيها ما يخالف كتاب الله ، فردونا عنه، واسألونا عما يشكل عليكم الحكم فيها، والحَكَم بيننا كتاب اله ، وما جاء فى كتب الحديث والسنة».

ومن خطبة أخرى ارتجلها فى مكة[1] يقول :

«ما كنا عرباً إلا بعد ما كنا مسلمين، كنا عبيداً للعجم، ولكن الإسلام جعلنا سادة، ليس لنا فضيلة إلا بالله وطاعته، واتباع محمد، ويجب أن نعرف حقيقة ديننا وعربيتنا، ولا ننساهما .

«كل حرية باطلة » ، إلا حرية الإسلام، والإنسان لا ينفع إلا بالدين، ونحن لا نبغى محاربة أوروبا ، وإنما نطلب حقوقنا باتحادنا فنعتصم بالله، والإسلام أكبر وسيلة وأكبر حصن، هو أكبر مزايا الحسب والنسب ، فيجب على المسلم محبة دينه وشعبه ووطنه».

---

(١) سنة ١٣٥٧ هـ (١٩٣٨م).

ومن خطبة له فى مكة أيضاً يقول:

«يسموننا بالوهابيين، ويسمون مذهبنا بالوهابي، باعتبار أنه مذهب خاص، وهذا خطأ فاحش، نشأ عن الدعايات الكاذبة التى كان يبثها أهل الأغراض.

«نحن لسنا أصحاب مذهب جديد ، أو عقيدة جديدة، ولم يأت **محمد بن عبد الوهاب** بالجديد، فعقيدتنا هى عقيدة السلف الصالح التى جاءت فى كتاب الله وسنة رسوله وما كان عليه السلف الصالح.

«نحن نحترم الأئمة الأربعة، ولا فرق عندنا بين الأئمة مالك والشافعى كما أننى أرى من واجبى ترقية جزيرة العرب ، والأخذ بالأسباب التى تجعلها فى مصاف البلاد الناهضة، مع الاعتصام بحبل الدين الإسلامى الحنيف.

«إننى أعتبر كبيركم بمنزلة الوالد، وأوسطكم أخاً وصغيركم ابناً، فكونوا يداً واحدة، وألفوا بين قلوبكم، لتساعدونى على القيام بالمهمة الملقاة على عاتقنا.

«إننى خادم فى هذه البلاد العربية ، لنصرة هذا الدين ، وخادم للرعية إن الملك لله وحده، وما نحن إلا خَدَم لرعايانا، فإذا لم ننصف ضعيفهم، ونأخذ على يد ظالمهم، وننصح لهم، ونسهر على مصالحهم، فنكون قد خنّا الأمانة المودعة إلينا.

«إننا لا تهمنا الأسماء ولا الألقاب، وإنما يهمنا القيام بحق الواجب لكلمة التوحيد، والنظر فى الأمور التى توفر الراحة والاطمئنان لرعايانا.

إن من حقكم علينا النصح لنا، فإذا رأيتم خطأ من موظف ، أو تجاوزاً من إنسان، فعليكم برفع ذلك إلينا لننظر فيه، فإذا لم تفعلوا ذلك فقد خنتم أنفسكم ووطنكم وولاتكم».

ومن خطبة له فى حفلة خريجى المعهد العلمى السعودي[1]:

«أيها الأبناء . إنكم أول ثمرة من غرسنا الذى غرسناه فى المعهد، فاعرفوا قدر ما

(١) أم القرى ١٧ صفر ١٣٥٠هـ.

تلقيتموه فيه من العلم. واعلموا أن العلم بلا عمل. كشجرة بلا ثمر، أن العلم كما يكون عوناً لصاحبه، يكون عوناً عليه، وليس من يعلم كمن لا يعلم، قليل من العلم يبارك فيه، خير من كثير لا يبارك فيه والبركة فى العمل .

«بعث صفوة الخلق، اللهم صل وسلم عليه، من العرب، ونزل عليه أمين السماء، فى بلاد العرب، بقرآن عربى غير ذى عوج، فلنعرف قدر ذلك ولنحتفظ بديننا ولغتنا وبلادنا ولنحبها حباً جمّا.

«لا مانع من أن نأخذ من غيرنا المفيد، فالحكمة ضالة المؤمن يلتقطها حيث وجدها ، وقد كان للعرب فى جاهليتها خصال حميدة، وكان لغيرهم أيضا ، وجاء الإسلام فأقرها، قال صفوة الخلق اللهم صل وسلم عليه: «بُعثت لأتم مكارم الأخلاق» وقال : ولدت فى زمن الملك العادل».

«حافظوا على تعاليم دينكم ، ولا شك أنكم قرأتم ولله الحمد والمنة شيئاً كثيراً منها، وأقول لكم : والله ثم والله ما حرّمت الشريعة شيئاً فيه نفعنا، ولا أحلت شيئاً فيه ضرنا، وإن النظرة السليمة لتدرك ذلك.

***

«واعلموا أن الناس لوكانوا جميعاً على قلب أكفر رجل، لما ضروا الله شيئاً. ولو كانوا على قلب أتقى رجل، لما نفعوا الله شيئاً. إن الله لغنى عن العالمين!

«انظروا إلى نعم الله. هل فاضَل فى أحكامه، بين غنى وفقير، فأوجب على الثانى الصلاة مثلا، وترك الأول؟ وهل أباح للأول ماحرمه على الثانى من المسكرات مثلا.. لا ، لا تفاضل إلاّ بالتقوى. إن أكرمكم عند الله أتقاكم لافضل لعربى على أعجمى إلا بالتقوى. كلكم لآدم وآدم من تراب.

«سوّى بينكم وأكبر من شأنكم، فأمر ألا تعبدوا إلاّ واحداً، ولاتخافوا إلا واحداً، ولا تسألوا إلا واحداً ومعلوم أن أرباب النفوس العالية إذا كان لهم عند ملك من الملوك حاجة، تحبّ أن تدلى بحاجتها إلى الملك بلا واسطة، والله يأمر عباده أن يسألوه بلا واسطة. ولاشك فى أن هذا، عدم الوساطة ، تكريمٌ للإنسان.

«أبنائى من كان منكم من بيت رفيع فليحرص على ألاّ يكون سبباً فى خفضه، ومن كان من آخر فليبن لنفسه مجداً فقد منّ الله عليكم وأرشدكم إلى طريق الخير. فاعملوا إنا لعملكم منتظرون والله ولى التوفيق.

«وأما محبة الأولياء والصالحين، فمن ذا الذى يُبغضهم منا ؟ ولكن محبتهم الحقيقة هى العمل بما عملوا به، واتباع سننهم فى التقوي. ومن هم أولئك الأولياء؟ هم الذين قال الله فيهم: ﴿الذين إن مكنّاهم فى الأرض أقاموا الصلاة وآتوا الزكاة وأمروا بالمعروف ، ونهوا عن المنكر﴾ . فهؤلاء هم الذين نحبهم ونقتفى آثارهم. ولكننا لا نرفعهم فوق المرتبة التى يريدونها لأنفسهم ولا يريدها لهم الله. هذا الذى نحن عليه، وهذا الذي ندين لله به . إن كان عندكم ماينقضه فى كتاب أو سنّة فأتونا به لنرجع عنه.

وفى الخطبة نفسها:

«إننا لم نطع ابن عبدالوهاب ولاغيره، إلاّ بما أيدوه بقول من كتاب الله وسنة نبيه محمد ﷺ. أما أحكامنا فنسير فيها طبق ما اجتهد به الإمام أحمد بن حنبل».. ومن خطبة له فى جُدّة[1]:

«إن هذا الوطن المقدس، يوجب علينا الاجتهاد فيمايُصلح أحواله. وإننا جادون فى هذاالسبيل قدر الطاقة، حتى تتم مقاصدنا فى هذه الديار، لنكمل للمسلمين جميعا أمنهم وراحتهم، وتتم لجميع الوافدين لمنازل الوحى والمساواة فى الحقوق والعدل.

«إن للدول الأجنبية المحترمة، علينا حقوقاً ولنا عليها حقوق. لهم علينا أن نفى لهم بجميع مايكون بيننا وبينهم من العهود (إن العهد كان مسؤولا) المسلم العربى ليشين بدينه وشرفه أن يخفر عهداً أو ينقض وعداً. وإن الصدق أهم ما نحافظ عليه. إن علينا أن نحافظ على مصالح الأجانب، ومصالح رعاياهم المشروعة، محافظتنا على أنفسنا ورعايانا .بشرط ألا تكون تلك المصالح ماسّة باستقلال البلاد الدينى أو الدنيوى. تلك حقوق يجب علينا مراعاتها واحترامها، وسنحافظ عليها ما حيينا إن شاء الله تعالى.

---

(١) نشرتها أم القرى ، فى ١٥ رجب ١٣٤٤هـ (يناير ١٩٢٦ م).

«وأما حقوقنا على الدول . ففيما يتعلق بهذه الديار، نطلب منهم أن يسهّلوا السبل إلى هذه الديار المقدسة، للحجاج والزوار والتجار والوافدين. ثم إن لنا عليهم حقا فوق هذا كله، وهو أهم شيء يهمنا مراعاته، وذلك أن لنا فى الديار النائية والقصية إخوانا من المسلمين ومن العرب ، نطلب مراعاتهم وحفظ حقوقهم. فإن المسلم أخو المسلم، يحنو عليه كما يحنو على نفسه، فى أى مكان كان ، وإنى أؤكد لكم بأن المسلمين عموماً، والعرب خصوصاً . كالأرض الطيبة كلما نزل عليها المطر أنبتت نباتاً حسناً. وإن المطر الذى نطلبه هو الأفعال الجميلة من الحكومات التى لها علاقة بالبلاد التى يسكنها إخواننا، ومن العرب من المسلمين . وإن الأرض الطيبة، هم المسلمون عامة والعرب خاصة .ولى الأمل الوطيد فى أن الحكومات المحترمة ذات العلاقة بالبلاد الإسلامية والعربية ، لاتدخر وسعا فى أداء ما للعرب والمسلمين من الحقوق المشروعة فى بلادهم . أسأل الله أن يجعل أفعالنا أصدق من أقوالنا وأن يوفقنا وإياكم لما فيه الخير والصلاح.

ومن خطبة له فى المدينة المنورة [1]:

«إننا نبذل النفس والنفيس فى سبيل راحة هذه البلاد، وحمايتها من عبث العابثين. ولنا الفخر العظيم فى ذلك .

«وإن خطّتى التى سرت ولا أزال أسير عليها، هى إقامةالشريعة السمحاء».

يقول حاكم الباكستان العام الحاج خواجه ناظم القدسى فى المفوضية العربية السعودية بباكستان بمناسبة اليوبيل الذهبى لفتح الرياض:

«يا حضرات السادة، يسرنى جدا أن أحضر فى هذا الحفل، الذى أقامه سعادة الوزير السعودي، احتفالا بالعيد الذهبى لفتح الرياض ، الذى تم بيد جلالة الملك عبدالعزيز بن عبدالرحمن آل سعود، ذلك الأمر الذى أرجع القوة الحقيقية إلي الأمير الشاب، الذى قاد فئة قليلة من أتباعه، فتمكن بهم من الاستيلاء على عرض أسلافه وأقام بعد بضع سنين الأمن والسلام فى جميع حدود مملكته.

---

(١) أم القرى ٢١ ذى القعدة ١٣٤٦هـ

إن العيد الذهبى ذكرى مائلة، لما اتصف به جلالة الملك من ذكاء سياسى، وتدبير وحزم، وحد بها شتات أمته ، وجمع كلمتها تحت راية حكومة منظمة، فأنقذها من الفرقة والتشتت، التى بددت كل القبائل، وفرقت بينها منذ أجيال متطاولة، ومن أهم ما امتاز به جلالة الملك، إقامة الأمن والسلام ، الذى يتمتع به الحجاج فى أثناء أداء الحج ، ويعلم أكثر الناس، ماكان يلاقيه الحجاج، من نصب وتعب فى أثناء زيارتهم للبلاد المقدسة، قبل تولى جلالة الملك زمام الحكم فى هذه البلاد المقدسة، أما اليوم فلا يسافر الحاج فى طول البلاد وعرضها آمنا مطمئنا فحسب ، بل إن الذى يدهش حقا أنه إذا سقط منه متاعه، فهو على يقين بأنه سيجده محفوظا دون نقص، وقليل جداً من الحكومات التى تستطيع أن تدعى أنها نقذت فى ممالكها الأمن والسلام بهذه القوةو الصرامة.

وبعد تأسيس باكستان، قد ازدادت قوة روابطنا الدينية والاجتماعية والثقافية، بأهل المملكة العربية السعودية.

وإن باكستان لتؤمن إيمانا قويا، بمبادئ الإسلام من الصدق والعدل والمساواة للإخاء العالمى، وهى لاتدخر وسعا فى نشر ذلك، ونحن على استعداد دائم للتعاون مع جميع أمم العالم، المحبة للسلام والأمن العالمى ».

ومن قصيدة السيد عبد الحميد الخطيب الوزير المفوض للمملكة العربية السعودية فى الباكستان فى حفلة اليوبيل الذهبى بكراتشى نتعرف على جانب من جوانب صور الملك عبد العزيز:

نصف قرن من العلى والجهود ... جوزيت أن نصوغها يوم عيد
عشرات السنين ملأى من السؤ ... دد والبأس والنضال المجيد
شحنت ساحها بلمع المواضي ... ونداء الداعى وزأر الأسود
وأنها روح السما فأضاءتها ... ابتساما بيوم عيد سعيد
وتراءت لنا بخلق جديد ... هب يستأنف العلى من جديد

نصف قرن فى عهده جاء يزجى ... بالتهانى لنصف قرن مزيد

يتولى الماضى ويستقبل الآتى ... وآل السعود آل سعود

قام عبدالعزيز يدعو إلى الله ... بعزم صلب وقلب حديد

هب فى بأسه الشديد هبوب الـ ... ـريح فى يومها العصيب الشديد

يتضنى العسير غير عسير ... نيله والبعيد غير بعيد

يتحدى الدنيا مدلا بحق اللـ ... ـه فى أرضه وحق الجدود

واضعا نفسه وما ملكته ... ـه فى يد المالك العلى الحميد

جاعلا أمر ربه فوق أمر النا ... س فى غيب حاله والشهود

من يكن همه رضى الرب فى دنـ ... ـياه لم يكترث بغيظ العبيد

عاهد الله أن يجاهد فى اللـ ... ـه ويعلى معالم التوحيد

فأتته الدنيا وما كان يبغيـ ... ـها مجيء المتيم المعمود

سلمت نفسها إليه وسامتـ ... ـه قبولا سوم الملح العنيد

فإذا بالرمال تنجب كثبا ... نا من العسجد الأصيل الفريد

وإذا بالوهود تنفث بركا ... نا من السائل الثمين المفيد

نام فى الأرض منذ ماسوى التر ... ب على الأرض نومة العربيد

وإذا بالنؤوم توقظه الهمة ... والبعث بعد طول الرقود

عزم عبدالعزيز علمه البعـ ... ـث وسواه عنصرا للوقود

بث روح الحياة فى الأرض بتو ... ليد ما أضمرت بطون البيد

يا مليكا أراده الله للبيـ ... ـت هنيئا بحظك المحمود

قد توليته تريد رضا اللـ ... ـه وإن كان فيه رغم الحسود

ورعيت الحجيج بالبر والعطـ ... ـف وآويتهم لركن شديد

فجزاك الإله عن حرم الله ... ه وعن ركّع به وسجود
وتلقيت من يد الله ما تبغيه ... ه من غبطة و عمر مديد
وتقبل تحية الشعر يمليه ... ها شعور الخطيب عبد الحميد

كما يتضح لنا من قصيدة شاعر الملك الأستاذ أحمد الغزاوى بمناسبة الذكرى الذهبية لفتح الرياض عدد من المعانى التى تكشف عن سمات متميزة فى شخصية عبد العزيز:

أصخت و«الفلك الدوار» يرتجل ... والفجر يبزغ، والأحداث تتصل ؟
وملء أذنى أصداء ترددها ... ربى «الجزيرة» أرسالا، وترتفل؟
تجاوبت، بها الدنيا مدوية ... وفصلت وبها الأمجاد تكتهل
إذا انقضت «سورة» منها بمعجزها ... وافتك أخرى بها «الاشعاع» يبتذل

«خمسون حولا» توالت وهى أشرطة ... من الحوادث، منها الجد، والهزل
فاسأل بها البيد تنطقْ وهى صامتة ... والبيض تفصح، والأشطان، والأسل
حيث «المروية» أشلاء ممزقة ... والدين يجأر، والأحزاب تقتتل
يمشى الفناء عليها ـ دون ما حذر ... عبر التخوم، وتردى وهى تكتبل
ويستبد البلى، شتى معاوله ... خلالها، ويميد السهل، والجبل
منبتة حولها الأطناب خاوية ... عروشها،وبها الأهواء تختبل !!؟
أكأنها، وسواد الليل ـ يكنفها ... كهف بأعماقه الآجال تختزل؟؟!

تاولتها أيادى السوء، وائتمرت ... بها الكوارث،و الأيام، والدول
تسفو الأعاصير فيها ـ وهى عاتية ... هوجاء، للجن فى أعطافها زحل
قد أمعن الداء فى أحشائها ومضى ... حتى تغلغل فى أكبادها الشلل؟!

obeikandi.com

مغلولة يتحدى الويل فى سرف ... أفلاذها، ويشيع الهول، والوهل
وللمنايا ارتجاز، تستطير به ... أطوادها به الغابات تشتعل
يكابر الجهل - فيها كل واضحة ... ويوقد النار فيها الحقد والجدل
(والناس من يلق خيرا قائلون له ... مايشتهى، ولأم المخطئ - الهبل)

روى النجيع ثراها - فهو مشرعها ... ومالها غيره، عل، ولانهل ؟؟!!
طريدة كلما أفضى النكال بها ... إلى الحضيض، تداعى فوقها الطلل

لاتبصر العين فى ظلمائها - قبسا ... ولا الظلال إليها تجنح الأصل؟!!
فالأمن مرتكس، والحق منطمس ... والمجد مندرس، والشر منتحل؟!!
صمى غوائرها، بكم منابرها ... عمى بصائرها، أحناؤها دغل؟!!
صريعة الغى ، أودت غير حشرجة ... هى الذماء وثم «استنوق الجمل»؟!
عاشت على هامش التاريخ تحسبها ... أخري الليالى ! مهاة رابها الزلل ؟؟
تغضى على الضيم، والتمحيص يفجـ ... ـعها ويستشيط عليها الخوف والخجل ؟؟!
هناك ! حنت لها«الأقدار» فانطلقت ... «كتيبة» من وراء الغيب تنفتل ؟!!
يؤمها (الصقر) تزجيه (قوادمه) ... إلى التى فى ضحاها «توج البطل»؟!!
فزعجب له، وهو «بالدهناء» يجزعها ... يلفه نابغى الهم ينسدل ؟؟!
تكاد أنفاسه الحرى، تسابقه ... قبل المطي، إلى الجلي، وتنفصل؟

طافت به، وأحاطت من جوانبه ... (أرصاده) وتمطت دونه الطول؟
مهامه كاطراد السيف موحشة ... تضل فى سرحها الضبان والورل؟

إذا السمائم زفتها ـ مجنحة ... تمخض (المهل) فيها واكتوى المهل

مايوم عجلان و«المحفوظ» يصرعه ... بالسر، وهو بسيف الله ينجدل ؟!
لم تثنه الهبوات السود مطبقة ... ولا الضوابح تعدو، والقنا الذبل
تدرع العزم تندك الجبال به ... واحتثه «النصر» والثارات والذحل
ساد الهدوء، وجن الليل، واضطجعت ... بواسق النخل، والأسوار والكلل
وانقض فى عدواء (الصرح) منصلتا ... «رحب» الذراع به الأبهاء تنتقل
طورا يصلى ، وطورا رافعا به ... إلى السماء، وطورا همسه الملل

حتى إذا النجم أغياه تربصه ... واستيقظ (القصر والحراس والخول
واختال عجلان، تياها ببزته ... مستكبرا، ودنا من حتفه الأجل
أهوى عليه «المفدى» غير مكترث ... وجها لوجه (وأوهى قرنه الوعل)؟
وكبر الشعب «إعجابا ـ بمنقذه» ... وأبرقت «بالرياض» الحلي، والحلل
وزين «العرش» بانيه «بمفرقه» ... وأقبل الحظ ـ رغما ـ وهو ممتثل؟!
وآية النصر ـ يوم الفتح ـ بينة ... تترى البشائر فيها ـ وهى تهتبل
أطل فيه «سعود» واستهل به ... (فتح) و(عيد) و(ميلاد) هو الأمل؟
وأسفر الصبح عن «تاج» و«مملكة» ... يعلو بها الحق ، والتاريخ يحتفل ؟!
تفجر (التبر) فيها تحت أخمصه ... والماء ـ فاض بها ـ والزبد ، والعسل
ترنو إلى المجد، و(التوحيد) يسلكها ... فى دعوة ـ بعثت من أجلها (الرسل)

«نصر من الله» في آثاره اقتحمت ... (عواصم) ـ وحصون دكها الوجل؟!

قد أعجبت كثرة، واستنفزت حمرا ... وبوغتت، وهى بالأحلام تكتحل؟!

هذا اليقين بوعد الله ينجزه ... للمؤمنين - وبئس الشك والبدل
«إن تنصروا الله ينصركم» بها هتفت ... «روح المثانى» ولم يحنث بها الأزل
ساس «الرسول» بها من قبل أمته ... و(الراشدون) اهتدوا وا لأعصر الأول
فلا (القياصر) صدت من تقدمهم ... ولا (الأكاسر)، والأقيال، والقلل
و«ابن السعود» تقفاهم بسيرته ... ومن نصائحه الإخلاص، والعمل
فماونى في سبيل الله. واتحدت ... به المشارب، والأهداف والسبل
وقوضت بيديه المنكرات علي ... حد الظبا،و نعى أشياعه (هبل) ؟؟
وساخت الأرض بالفجار، واجتنبت ... كبائر الإثم زجرا، واختفى الكسل
وثل بالمشرفى البغى، فانخسفت ... أصنامه، وتهاوت وهى تنجفل
وشادها (وحدة أرسى قواعدها ... على (الشريعة) - لاذمل، ولا ثعل
منارها (برسول الله) - مؤتلق ... ودينها - (بكتاب الله) مكتمل
(مهابط الوحى) جل الله مابرحت ... بحبه تتغنى، وهى تبتهل!!
تلك (المشاعر) فى الإسلام آمنة ... لابدع فيها، ولاسطو ولاختل
نيطت به - وأحلته - بواصرها ... وليس من بعدها - فخر، ولا غزل
تنزهت عن ضلالات،وتطرية ... هى الفتون، ومنها استعصت الملل
(الحكم) - فيه حدود الله نافذة ... و(العدل) ينصب والإحسان ينهمل
والشعب يكدح و(العرفان) منهله ... و(الجيش يطمح) و(العمران) يشتمل
فى كل قاصية - منه - ودانية ... كفاء تغمر بالجدوى - وتفتضل
(عبد العزيز) تقبلها مغلغلة ... هى اللآلى ، إلا أنها لحلل ؟؟!

نظمتها لك يامولاى (أفئدة) الحب يشتفها، والبشر، والجذل
أفضت إليك(بها الذكرى) منسقة فيها الترائب،والأصلاب، والمثل

شكرت ربك، فازدد من مواهبه فضلا يدوم وفى الأعقاب يتصل
واسلم لشعبك يا خير الملوك هدى ومن بتقواه ـ حقا يضرب المثل
ولتحى للعرب، والإسلام قاطبة ماشع بالضوء منك الرأد والطفل

ويتأكد لنا المصدر الإسلامى فى صورة عبد العزيز من قصيدة الأستاذ فؤاد شاكر فى تحية العيد الذهبي:

تألق عيد الفطر بالبشر يخفق فوافاه عيد بابتهاجك يشرق
أجل، إن عيد الله للناس بهجة تلاقى به من يوم عيدك رونق
لقد جمع العيد ين، فى الله طاعة مؤثلة التوحيد، بالحق تصدق
وحسبك من دنياك ماأنت مسلف من البر والتقوي، وماأنت مغدق
أجل إنها فى الله خمسون حجة يكاد لها التاريخ يندى ويورق
قضيت لياليها الطوال مجاهدا تسابقها بالرأى قدما، فتسبق
وحيدا ؛كمتن السيف أرهف نصله فلا هو مرتاع،و لا هو يفرق
وعونك فيما أنت ماض لنيله من الأمر إيمان يجنبيك نتعلق
وأرسيت فى أرضا الجزيرة أمة موحدة الإيمان، لاتتفرق

فلما استقر الأمر وانجاب داكن من الهول يطفو بالخطوب وينسق
أفاد عليك الله نعمى سلامة وعيشاً بأفنان المسرة يفهق
لقد محضتك الحب أمة يعرب فلا قلب إلا وهو نحوك شيق
كأن صبا نجد إذا فاح عرفه أهازيجها بالحب تشدو وتنطق
بسطت لواء الأمن كالظل وارفا فأصبح ممدود الرواقين، يطبق

وشيدت للعدل الصروح مشيدة ... تناطح أعنان السماء وتسمق
ووطدت للتوحيد صرحا مؤيدا ... بإعلاء دين الله يزهى ويورق
فكم مسلم أدى الفريضة آمنا ... وقد كان منها قبل عهدك يشفق
وكم طاعم قد كان غرثان صاديا ... يطول بهم من الليل مقلق
وكم عثرة لم يدر كيف يقيلها ... أخو نجدة، كادت لها لنفس تزهق
أطلت عليهم من نداك مبرة ... مع الصبح كالفجر الذى هو يصدق
ففى كلّ دار من أياديك منة ... وفى كل بيت منك جيد مطوق

فعشت لنا نبراس مجد ونعمة ... من الله تجرى عن يديك وتنفق
وعاش بنوك الغر أمجاد عزة ... لهم فى فم الأجيال، ذكر ومنطق
فأنت لهذا الدين حصن وموئل ... وأنت لبيت الله ركن وموثق
ولازلت تمضى للجهاد موفقا ... فأنت - بإذن الله - فيه الموفق

وتظهرنا الصورة الذهنية على المميزات المزاجية كمفتاح آخر للتعرف على شخصية الملك عبدالعزيز، من حيث تواتر الحالات الإنفعالية ودرجة تغيرها . ومدى الانفعال وشدته، والحالة المزاجية المتغلبة والاتجاه الانفعالى العام. وكذلك أساليب التعبير عن الذات بما تنضوى عليه من قابلية للتأثر بالعوامل الاجتماعية، وقابلية للإندماج الاجتماعي،واشتراك فعال فى الحياة الاجتماعية، والاتجاه العام فى تقدير القيم، والصفات الخليقة كالصدق والأمانة والعدل .

ولقد درج الملك عبدالعزيز فى حياته على أن يستيقظ قبل الفجر، ويتهجد ببعض الصلوات، ثم يتلو ماتيسر له من كتاب الله عزوجل، بصوت عال، حتى إذا حان وقت فريضة الفجر، أداها فى وقتها، وبعد الصلاة يقرأ طائفة من الأوراد والأدعية النبوية المأثورة ثم يستريح

وبعد شروق الشمس بنحو ساعة، كان جلالته يجلس مع وزرائه فى جلسة خفيفة للبحث فيما يهم من أمور الدولة، وفى نحو الساعة التاسعة والنصف كان جلالته يجلس أحيانا جلسة عامة، يستقبل فيها كبار الوافدين على الرياض، ثم تعرض عليه أمور الدولة

وأخبار العالم، ماوصل منها بطريق البرق أو البريد أو اللاسلكى، وكذلك الأمور الداخلية والخارجية، فأما الأمور السهلة فكان يتفضل جلالته بالأمر بما يراه فى شأنها حالا، وأما مايحتاج منها إلى بحث ، فإنه كان يحيله إلى لجنة المستشارين، لبحثه وتقديم تقرير عنه إلى جلالته.

وبعد انتهاء هذه الأعمال، يعود إلى قصره فيتغدى ويستريح. وبعد صلاة العصر، يجتمع حلالته بكبار رجال الدولة وكبار ضيوفه، ومنهم أفراد عائلة ال رشيد المشهورين.ويبدأ هذا الاجتماع بتلاوة قسم من القرآن الكريم، ثم يتلى تفسير من آيات الله، وفى الغالب يكون من تفسير ابن كثير، أو ابن جرير. ثم يقرأ القارىء بين يدى جلالته فصلا قصيراً ، من أحد الكتب فى الآداب الإسلامية، أو السياسة الشرعية، أو غيرها، ممايراه جلالته مناسبا،ومن كتب الأخلاق الدينية، و يعلق جلالته على ماتلى أمامه وسمعه، بما يراه مناسبا.

ثم تعرض على جلالته البرقيات الواردة من مختلف الجهات، ثم الشئون المهمة، وقبل الغروب كان جلالته ينصرف إلى قصره العامر، وبعد العشاء كان يجلس جلسة قصيرة ، تشبه بعض الشبه جلسة العصر، من جهة مايتلى على جلالته من تفسير القرآن الكريم، ونحو ذلك.

ولاتكاد هذه العادة تختلف فى يوم عن يوم، بل يمكن ضبط الساعة على مواعيد قدوم جلالته وجلوسه وقيامه!!

وجلالة الملك عبدالعزيز مؤمن حقا، وهو يعتقد أن ماأصاب المسلمين من انحلال، إنما هو لعدم اتباعهم القواعد الصحيحة فى الإسلام سواء فى ذلك القواعد الخلقية، أو العقيدة الصحيحة، أو عدم الاهتداء بهدى القرآن. ولايخلو مجلس من مجالسه من النصيحة للملسمين عامة، والعرب خاصة ، وكثيرا ما تترد على لسانه فى معظم مجالسه هذه الآية الكريمة:﴿إن الله لايغير مابقوم، حتى يغيروا ما بأنفسهم﴾، وقوله تعالي :﴿إن تنصروا الله ينصركم ، ويثبت أقدامكم﴾، وكذلك قوله سبحانه:﴿نسوا الله فأنساهم أنفسهم ﴾.

وجملة القول أن جلالته كان يديم النصح والإرشاد ، لقومه وعشيرته، ومن يحضر مجالسه.

ولقد تمثل الملك عبدالعزيز من الشخصية الإسلامية كذلك، ماتسمت به من فكاهات وأهواء هى أخص بطبيعة الجند من سائر الفكاهات والأهواء.. ويظهرنا التاريخ أن عمر بن الخطاب رضى الله عنه كان يعجب بالفكاهة التى توحى إليه معنى مضحكاً فيه صراحة وخشونة، ومنها الفكاهة التى نسميها اليوم «بالنكات العملية» ـ[1].

فرغ رسول الله يوما من بيعة الرجال وأخذ فى بيعة النساء، فاجتمع إليه نساء من قريش فيهن هند بنت عتبة متنقبة متنكرة لما كان من صنيعها بحمزة رضى الله عنه. فهى تخاف أن يأخذها رسول الله بصنيعها، فلما دنون منه ليبايعنه قال عليه السلام: تبايعننى على ألا تشركن بالله شيئا.

قالت هند: والله إنك لتأخذ علينا أمرا ما تأخذه على الرجال وسنؤتيكه:

قال : ولاتسرقن.

قالت : والله إن كنت لأصيب من مال أبى سفيان الهنة والهنة وما أدرى أكان ذلك حلالا لى أم لا؟

قال أبو سفيان وكان شاهدا: أما ما أصبت فيما مضى فأنت منه فى حل.

فقال رسول الله: وإنك لهند بنت عتبة؟

قالت : أناهند بنت عتبة فاعف عما سلف، عفا الله عنك.

فمضى رسو ل الله فى أخذ البيعة وعاد يقول : ولاتزنين!

قالت : يارسول الله هل تزنى الحرة ؟

قال : ولاتقتلن أولادكن!

قالت : قد ربيناهم صغارا وقتلتهم يوم بدر كبارا، فأنت وهم أعلم.

فضحك عمر بن الخطاب حتى استغرب،وكان قليل الإغراب فى الضحك. فإن استغرب ضاحكا بين حين وحين فإنما يضحكه مثل هذه الفكاهة.

---

(١) العقاد: المرجع السابق ص ٧٣

وعلى هذا النحو فكاهته مع خادمه أسلم وابنه عاصم. دخل عليهما وهما يغنيان غناء يشبه الحداء فوقف يستمع ويستعيد . وشجعهما إصغاؤه واستعادته فسألاه: أينا أحسن صنعة؟ قال : مثلكما كمثل حمارى العبادى. سئل :أيهما شر؟ فقال : هذا ثم هذا.

ومن فكاهته القوية تلك المزحة المرعبة التى أطار بها لب الحطيئة ليكف عن هجاء الناس: فدعا بكرسى وجلس عليه ودعا بالحطيئة فأجلسه بين يديه، ودعا بأشفى ـ أى مثقب ـ وشفرة يوهمه أنه سيقطع لسانه، فضج الحطيئة وتشفع الحاضرون فيه، ولم يطلقه حتى أخذ عليه عهدا لايهجون أحدا بعد ، واشترى منه أعراض المسلمين بثلاثة آلاف درهم. فما هجا أحدا بعدها وعمر بقيد الحياة »[1]

كان الملك عبدالعزيز كثيرا مايستشعر الجهد، والوجوم، وتقلب المزاج، لاشتداد وطأة العمل عليه وكثرة المشاغل ، وقد يبدو أحيانا أخرى رائق النفس منبعثا إلى الضحك والمرح، وكان يأنس إلي القصص مستمعا، ويحب الروايات الطلية والطرف الجيدة.

ولكن ثورات غضبه للحق تأخذ مداها إلى نهايته،

وقد سمع يوما أن واحدا من المنتسبين إلى العلماء ، يمشى بالفتنة بين «الإخوان» لحقد فى نفسه، فبعث فى طلبه، وسأله عما بلغه عنه، فأجابه الرجل جوابا جافا خاليا من اللياقة، فلم يتردد ابن سعود فى طرده من الحجرة ، ونادى جنديا من حرسه فأمر بأن يلقيه فى السجن مع عامة الجناة . ثم تركه فى المحبس أسبوعا كاملا.

وقد فعل ذلك به، لأن سلوك بعض «المتعالمين» وتصرف هذا الرجل كان يقتضى هذا الدرس الرادع.

«وقلما ترجع علة انقباضه إلى عوامل خارجية، ولسنا ننكر أن الأخبار الطيبة تسره إلى حد التهلل، ولكن أنباء السوء لاتزيده إلا نشاطا للعمل، وانبعاثا إلى مضاعفة الجهود، والتمرس بالأخطار، ومغالبة الصعاب والمشاق وتثير فى نفسه غريزة النضال[2].

(١) المرجع نفسه ، ص ٧٤

(٢) عبد الرحمن نصر: المرجع السابق ص ص ١٢٧ - ١٢٨.

«وإنما يأتى انقباضه من مداخل نفسه وأعماق مشاعره، فقد كان القوى العرم الذكورة ولم يمرض إلا مرة وهو غلام صغير، عقب الفرار من الرياض، حين أصيب بحمى روماتزمية، ولكنه كان بطبيعة تكوينه ضعيف الكبد بليدها، ولكنه لم يأبه ببلادتها، فيتناول وجباته غير منظمة المواقيت، ويأكل طعامه القليل فى عجلة بالغة، ويشرب جرعات من الماء عليه، وينفلت مسرعا إلى العمل أو لبعض شئونه المجهدة، وكان يحمل على نفسه، بقلة النوم وكثرة العمل واستدامة المجهود، فلم يكن ليلتمس نفسه أو يستجم، ولا يعبأ أى طعام يأكل، ولايبالى أى ماء هو شاربه، فكان إذا أناخ أو نزل فى السفر ليريح مضى يشرب من أول بئر يجدها أمامه، وكانت عادته فى رمضان أن يقبل بعد المغيب على تناول قدر من الفاكهة الطازجة، وإذا توعك أكثر من تناول العقاقير والحبوب والأدوية التى يصفها الأطباء، وان تمرد بدنه وأجهزته على العلاج، وتعكر مزاجه، وضاق صدره أيما ضيق.

ولكن فى مستسر نفسه، وأدق أجزاء كيانه، سواء بدا الفرح أو المنقبض ولا الضاحك أو العابس المربد، شيئاً خفيا... هادئاً، متنبهاً، يقظان، يسيطر على تفكيره، دافعا به إلى الاتزان فى تقريره، عادلا به عن التسرع حافزا إياه عن التهور، حتى يصل بإعمال الروية، وسكينة الخاطر إلى النتيجة السليمة والحكم الصحيح[٢]...

وكان كأكثر العظماء من رجال العمل «يستروح» إلى الحديث والمناقشة إذ الحديث «يبلور» أفكاره، ويصفى خواطره، ويبدد غيوم الشك الكثيفة المترامية وراء أفق الفكر، فيحيلها إلى حقائق ظاهرة، وقرارات ملموسة واضحة المعالم والحدود، بل إن الحديث ليقربه من عقول الآخرين. فلا عجب إذا هو وجد متعة فى منازلة الرجال أقوالا؛ كمتعته بمنازلتهم قتالا ونضالاوكانت الكلمة الملفوظة أهم عنده من الكلمة المكتوبة، لأنه كان يباشر علاج المسائل رأسا مع الذين يتقدمون إليه بها، لا من الوثائق والمذكرات، وكان ينظر فى الأقضية والخصومات فى مواجهة المتهم والمدعى بلا رجوع إلى الأوراق

(١) المرجع نفسه، ص ١٢٩.

والأسانيد وكتب الشرع والقانون. وتأتيه الأخبار والتقارير والعرائض جميعا شفوية، فكانت الكلمة الملفوظة، ولهجة المتكلم، ونبرات الصوت، وشخصية القائل هى عنده العوامل الحاسمة.

«وكان الحديث بعد الفراغ من عمل اليوم وجده؛ سلوته ومتاعه، فكانت عادته بعد صلاة العشاء أن يعقد مجلسا عاما، ثم ينثنى لزيارة الحرم، وبعدئذ يدعو أصحابه وضيوفه إلى جناحه الخاص فيتحدث إليهم فى كل شئ يحلو الحديث فيه، من شئون الناس وأمور الدنيا وأحوال العالم، وعن الخيل والإبل وجوارح الطير والصيد والقنص والحرب، ومعاركه الماضية وشئون الدين والعبادات، وكان يجد أكبر المتعة فى دعوة الأجانب الذين يتفق وجودهم فى الرياض ليسمع منهم طرفا من أخبار العالم والسياسة الدولية.

«وقد اعتاد فى هذه المجامع والحضرات أن يجلس فوق إيوان ثانيا ساقيه وقدميه من تحته ملتفا بقبائه، حاسرا العقال عن رأسه، فإذا تحدث تمهل فى حديثه واضعا يديه فوق ركبتيه، مرسلا بصره إلى الأمام، مفكرا قبل الكلام، متخيرا ألفاظه قبل مغادرة شفتيه، وإذا تكلم كان صوته واضحا رقيقا لينا ولكنه فى حالة الغضب أو الانفعال ينقلب مرتفعا صاخبا قاصفا كالرعد، ويرسل عبارات مدوية، ويحدث حركات شديدة التعبير، وإن له لكفين ضخمتين كل كف منهما فى حجم اليدين العاديتين، وله أنامل طوال مدببة بليغة المعانى فى حركاتها وإشاراتها، حتى ليبين برعشة من كفه حال محضور يغالب أنفاسه الأخيرة، أو بلفة من معصميه كيف ذهب رتل من الإبل يخطر ويتهادى فى الصحراء وقطعه الفيافى والرمال، واجتيازه المنحدرات والمرتفعات والتلال، وقد ينطلق فى الحديث نصف ساعة أحياناً ولا يقف عن الكلام، متحمسا رافعاً صوته تارة ثم مخافتا به فى جد واتزان تارة أخرى، محدثا أبلغ الإشارات بكفيه وكتفيه[1].

«وقد يوهن الليل فيحسُّ أضيافه أحيانا ترنيق النعاس فى الأجفان، وهو لايزال اليقظ لا حاجة به إلى النوم، أو الساهر لايتطرق السبات إلى عينيه، ولكنه لاينى يصطبر لضيوفه حتى يرى من أحدهم ميلا إلى النعاس والتهويم، كأن يثنى إحدى ساقيه من تحته أو يبسط كفه على عينيه ليخفى نفسه ويدارى النعاس الذى يداعب أجفانه، فينبرى له ملقيا عليه

(١) المرجع نفسه، ص ١٣٠.

بعض الأسئلة، كأن يقول له «أليس الأمر كذلك يا فلان، قل لنا الوقائع أو أبسط لنا المسألة على حقائقها»، فلا يلبث النائم الذى أريد العبث به أن يستيقظ مجفلا، ويحاول الاستواء فى مجلسه جاهدا مغالبا، ويزعم أنه لم يغف ولم ينم، فلا يسع ابن سعود إلا الابتسام مسرورا متفكها.

وإذا الليل قد انقضى وانتهى إلى ختامه.

«فعندئذ يصفق ابن سعود بيديه داعيا الخدم إلى إحضار الفاكهة والقهوة والشاى واللبن فإذا ما أكل ضيوفه وشربوا، مشى معهم إلى رأس السلم مودعا، آمرا الخدم بأن يرافقوهم إلى دورهم ويوصلوهم إلى منازلهم آمنين، فقد يشهدهم فى القصر أو فى الشوارع قوم من الإخوان المتزمتين الذين لايطيقون رؤية الأجانب والغرباء.

وبينما يتسلل الضيوف مجهودين إلى مضاجعهم، ينطلق هو نشيطا قويا كأنه نام وشبع نوما عائدا إلى سطح القصر، فى هدأة الفجر وأنسامه الندية، فيصلى الفجر حاضرا، موليا وجهه شطر البيت الحرام، فى تلك اللحظة التى تستيقظ فيها المدينة المترامية تحت نظره وترتفع صيحات الباعة والتجار المنادين على سلعهم، ويتعالى هدير الإبل، ويهب غبار القوافل القادمة منها والراحلة.

وعندئذ يوقظ أهل بيته وحاشيته وأمناء سره وينصرف إلى جناحه للعمل حتى الظهيرة...[1]».

من هذه الاستشهادات التى قدمناها يتضح لنا أن سمات شخصية الملك عبد العزيز سمات مرتفعة الدرجة، وذلك يعنى فى ضوء علم النفس أن صاحبها أقدر على إدارة أعمال عظيمة الشأن، فى أقطار واسعة، وأصقاع شاسعة تشمل معظم الجزيرة طولا وتمتد عرضا من ساحل الجزيرة الغربى على البحر الأحمر إلى ساحلها الشرقى على خليج البصرة - على حد تعبير الدكتور عبد الوهاب عزام - الذى يضيف: «وهى بقاع قليلة الزرع، لايجرى فيها نهر دائم، ولكن فيها أودية كثيرة تسيل فى أعقاب المطر. فإذا بنيت فيها السدود وحبس الماء عن الاندفاع فى الصحراء أو الدأماء عادت بخير كثير، وأعانت على زرع بقاع كثيرة.

(١) المرجع نفسه، ص: ١٣٣.

وفى المملكة كثير من المعادن، عرف بعضه العرب الأولون، وكشف عن بعضه فى هذا العصر والأمل عظيم فى أن يكشف عن الكثير منها فى المستقبل القريب بتوفيق الله.

ولاتقدر مكانة هذه المملكة العظيمة بمياها وأوديتها ومعادنها، ولكن بمنزلتها التاريخية والدينية، لا نعرف أرضا لها مثل هذه المنزلة. أو ديارا لها من شرف التاريخ والدين والأدب مثل هذه المكانة.

فهى مهد العرب، فيها نشأوا، وفى أرجائها درجوا، وعلى صفحاتها خطوا تاريخهم الأول. وفى سهولها وجبالها نشأت لغتهم، وترعرعت وأينعت وكملت، ونبت أدبهم وأزدهر، ثم انتشر فى أرجاء الأرض بدوها وحضرها، وفيه نفحة نجد والحجاز، وذكرى عدنان وقحطان وصور الجزيرة، ووحشها، وذكرى تاريخها وقصصها، ومآثرها ومكارمها وأخلاقها وآدابها.

انتشر الأدب العربى من أودية السند الى سواحل الأطلسى، ومن حدود سيبريا الى خط الاستواء، وامتد فى البر والبحر والبدو والحضر فى آسياء وأوربا وأفريقية، وفيه صدى الجزيرة وشذاها وأخيلة ليلها وضحاها ومرعاها وماؤها.. يرويه الزمخشرى فى زمخشر، والأعلم الشنتمرى فى شنتمر، فى أقصى تركستان وأقصى الأندلس.

فما يقُرأ الأدب العربى أو ينشد فى أية بقعة من الأرض إلا ردد ألحان الجزيرة، وعكس صورها وظلالها، وما يسير سائر فى أرجاء الجزيرة إلا وجد مواضع اتصلت بها وقعة تاريخ، أو حياة شاعر، أو قصة مجد، أو ذكرى حرب أو سلم.

وقد اختار الله العليم هذه الجزيرة مهبط وحيه، ومنشأ رسالته. فانبعث منها نور الإسلام، وهدى القرآن، فشرق حتى أقصى المشارق وهو دائم الإشراف وغرب إلى أقصى المغارب وليس له غروب.

وفى هذه البلاد قبلة المسلمين، ومثوى الرسول الأمين، تهفو إليها أفئدتهم وتتوجه وجوههم وقلوبهم.

خلدت بقاع الحجاز فى تاريخ الإسلام، وذكرها المسلمون فى كل مكان، وما يسير المسلم فيها إلا رأى خطى الإسلام فيها وليدا وناشئا، وقص آثاره عليها، وقرأ من تاريخه فى قراها وسبلها، وجبالها وأوديتها، وحزوتها وسهولها.

وقد مكن الله فى هـذا الإقليم المبارك لجلالة الملـك العظيم **عبد العزيز آل سعود.** يسر له فتح الرياض سنة ١٣١٩ من الهجرة ثم مـازال يمد سلطانه فى الجهات كلها حتى تسنى له فتح أم القرى سنة ١٣٤٣هـ. وزاده الله تمكينا فى الأرض. فاستقر له الملك وأمنت به البلاد، وسكن إليه الناس، سكنوا إلى بره وعطفه، وحلمه وعدله، وسخائه وبذله.

وإذا رزقت أمة أمـنا وعدلا فقـد تهيأ لـها العمل والسعى، ومهـدت لها السـبل إلى العمران والإصلاح، والتنافس فى ضروب الإنشاء والبناء.

وكان مـن يمن هـذا الملـك الجليـل وإخلاصه، وحـسن طويـته، أن فـتح الله له كـنوز الأرض فوجدت الثروة التى استعان بها على التـعمير والإصلاح. فانطلق الناس يعملون ويتجرون وينشئون المساكن والمصانع، واستـقاموا على طريقة مؤدية إلى الخير والفلاح إن شاء الله.

وأخذت الحكومـة تجد فى التعميـر فأنشأت ميناء جدة الكبير، وأخذت تمـد السكك الحديديـة، وتمهد الطرق. ولعـلها توفق الى وضـع خطط للعـمل دائمة شاملـة تؤدى إلى مقاصد العمران العظيمة على مر السنين، وتوفى على الغاية المرجوة قريباً.

ثم جلالـة الملك البـار برعيتـه، المشفق عـليها، يـبر البلاد الـعربية، ويـحب لها الخـير، ويعمـل لإحكام المودة بيـنه وبينهـا، ويأمر بالإستعـانة بأولى الرأى والخبرة فيها، ويـسعى جهده للتعاون معها على خير العرب والمسلـمين، فقد ظفر بمودة البلاد العربية، كما ظفر بمودة الرعية.

والبلاد الإسلامية كلهـا ترمق خادم الحرمين، وتحمد له تأمين الحجـاج آملة الخير منه، مستبشرة بما تراه من عنايـة بوفود بيت الله، مستعـدة لمؤازرته فى كل ما يريـد المؤازرة فيه واثقة ببلوغ الغاية وحسن العاقبة بتوفيق الله.

«ولسنـا فى حاجة إلـى أن نقصى فـتح الرياض، وما كـان فيه من أعـاجيب الشـجاعة والمخاطرة، وأن نبين كيف تسلل الشاب عبد العـزيز بن عبد الرحمن فى جنح الظلام إلى مدينة الرياض يـتنقل من دار الى دار ومعه نفر قـليل من أنصاره، ينتظرهـم خارج المدينة ثلاثون رجلاً هـم كل عدة هذا الأمير المـقدام لفتح الريـاض، حتى ظفر ابن عـجلان أمير

الرياض من قبل آل الرشيد، فأصبح أهل الرياض على صوت مناد يصيح: «الحكم لله، ثم لعبد العزيز آل السعود».

وإن رجاءنا لعظيم أن تجمع الدولة السعودية ماوعت من عبر الماضى والحاضر، وتقدر ما يرجوه المسلمون منها للحرمين الشريفين وحجاجهما، وتمضى مصلحة معمرة، واثقة بمؤازرة المسلمين، وإعانتهم إياها بالعلم والصناعة والمال، على تيسير الحج والإقامة فى الحرمين الشريفين والسفر إليهما.

وإن فى الهمة العالية، والنية الصادقة، والعمل الصالح، التى أقام عليها الملك عبدالعزيز ملكه، وفيما أفادت العبر وهدت التجارب، لكفيلا بعصر وضاء ومجد مؤثل لهذه الدولة الكريمة».

وهكذا يمكن القول إن الملك عبد العزيز يصور الشخصية الإسلامية أصدق تصوير إذا نظرنا إلى أعماله وإلى الإنجاز الحضارى النموذج؛ فى المملكة . وهو إنجاز يتسق مع مقومات الشخصية كذلك إذا نظرنا إلى تكوينه الذى جعله مستعدا لتلك الأعمال مضطلعا بتلك القدرة، وإن لم يكن «من اللازم اللازب أن تقترب القدرة بالعمل الذى تستطيعه. لما يتفق أحيانا من وقوف العوائق بينها وبين الإنجاز أو الاتجاه إلى ذلك العمل» على حد تعبير العقاد ، والذى نستعير منه عند الحديث عن الملك عبد العزيز أنه «كان رجلا ممتازا بعمله، ممتاز بتكوينه، وكان وفاء شرط الامتياز والتفرد فى عرف الأقدمين والمحدثين، من المؤمنين بدينه وغير المؤمنين. إذا وصفته للأقدمين الذين يقيسون العبقرية بالفراسة والخبرة عرفوا من صفته أن الذى يوصف لهم رجل ممتازاً أو رجل نسيج وحده.. وإذا وصفته للمحدثين الذين يقيسون العبقرية بالعلم أو مشاهدات العلماء عرفوا من تلك الصفة أنه رجل ممتاز، أو رجل موهوب».

وقد كان الذين يعرفونه أهيب له من الذين يجهلونه. وهذه الميزة تميز بها الملك عبد العزيز فى العصر الحديث، ذلك أن هيبته كانت قوة نفس تملأ الأفئدة قبل أن تملأ الأنظار، إلا أنه مع هذا كان فى منظر الجسد رائعا يهول من يراه ولا يذهب الخوف منه إلا الثقة بعدله وتقواه.. كان يبدو عملاقا ذا رأس مهيب قائم فوق كتفين بديعتين

عريضتين، وأصبح يلوح فى صورة رجل رائع المظهر ألف أن يطاع، وطال عهده، بامتلاك سلطان الحياة والموت على سائر الذين يحيطون به، وإن له لعينين تشعان بريقا، وقد تخفيان أحيانا خواطره، ولكنهما تنمان أبداً عن نفسه ومزاجه، فهو الفطن الحكيم الأريب حين يسبر غور النفوس أو ينظر فى أمهات المسائل، وهو الودود البسام إذا رضى وسر، والعبوس العنيف المتجهم إذا حنق وغضب، وإن له لجبينا عريضاً عالياً، وملامح مقسمة، ومعارف واضحة، وأنفا حادا حتى ليبدو إذا نظر إليك بوجهه رأسا رصينا هادئ السرب، وإذا نظر إليك بجانب من محياه خلته صقرا أو نسرا، مليئا قوة وأسرا، على الأهبة للضرب أو الوثوب.

وإذا عرفت حركات العربى العادى كثيرة الذبذبة والخطران، وإنه قلما يرى الهادئ فى جلسته، الجامد الساكن فى مكانه، فاعلم أن حركات ابن سعود نقيضها، فهو فيها المتزن المتئد الوقور، وإذا تحدث أجرى حبات مسبحته فى الإبهام والسبابة فى كفه اليسرى، وإذا مشى كان السريع الخطو منفرجه، ولئن كان الضخم الذى تنوء به ظهور الخيل العربية، فقد كان الفارس الذى يحسن اعتلاء الصهوات، والمناجز لأفانين النزال بالسيف والطعان.

وقد ألف أن يعيش فى قصر، بالرياض، أو متنقلا بين القبائل عيش المتقشف، كأنه فى مخيم المحاربين ومضارب الجند المقاتلين، لا يبالى راحة، ولايعنى بترف، ولايلتمس نعماء، فقد كان مضجعه فى القصر سريراً من الحديد وثيابه بادية البساطة، لا يألف الحرير، ولا يشتمل بالديباج، وكل ما فيه من زينة قليل من زركشة أو تطريز على قبائه، وأسلاك مذهبة حول عقاله، وهو سريع التأثر بالروائح، كأكثر الذين لايدخنون التبغ، ويحيون حياة نقية، ويعيشون عيشا لاتشوبه الأكدار، فإن الروائح غير الزكية، تؤذى احساسه، وتثير مشاعره، وهو لهذا يقبل أحيانا على التعطر، ويستريح إلى الأرج، ويحب رائحة الورد خاصة وعطره الفواح.

وأكثر طعامه فى وجبة الصبح بعض الفطائر الصغيرة المزيجة بالسكر، وقليل من اللبن - الرائب -، وتتألف وجبة العشاء من أرز ولحم وخبز وثمرات وشرابه الماء القراح وإن كان من عادته أن يتناول القهوة والشاى عدة مرات فى سحابة النهار، ويحب ألا توقد

المواقد والمدافىء فى حجراته أو مضاربه، حتى إن اشتد البرد كما هى الحال فى ليالى الشتاء فوق الهضاب، وهو أبدا يقظان دؤوب مترقب، قليل النوم، لاتتجاوز ساعاته فى الأغلب الأعم ثلاثا أو أربعا فى اليوم، لا من أرق يغلب عليه، ولا من سهاد يؤرقه، وإنما لأنه روض نفسه على هذا القدر بحسب، حتى يتفرغ للعمل، ويتسع له الوقت لتأديته، بلا فائدة فقد كان أمامه عمل كبير يؤديه، ويرى الزمن غير مسعفه عليه، وفى ذلك يقول مقال شكسبير، وإن لم يدر أنه قائله من قبله: «إن النوم هو الموت الأصغر «أو» الموت والنوم توأمان...[1]».

ويمكن أن نستعير فى هذا الصدد كذلك من قول العقاد ، ما ينطبق تمام الانطباق على شخصية الملك عبد العزيز فى العصر الحديث: «تشهد العيون كما تشهد القلوب أنه لمن معدن العظمة أو معدن العبقرية والامتياز بين بنى الإنسان، وللمحدثين علامات فى العبقرية تتصل بالتكوين وتركيب الخلقة كما تتصل بمدلول الأخلاق والأعمال.. فالعالم الإيطالى «لومبروزو» ومدرسته التى تأتم برأيه يقررون بعد تكرار التجربة والمقارنة أن للعبقرية علامات لاتخطئها على صورة من الصور فى أحد من أهلها.. وهى علامات تتفق وتتناقض ولكنها فى جميع حالاتها وصورها نمط من اختلاف التركيب ومبايته للوتيرة العامة بين أصحاب التشابه والمساواة فيكون العبقرى طويلا بائن الطول، أو قصيرا بين القصر، ويعمل بيده اليسرى أو يعمل بكلتا اليدين، ويلفت النظر بغزارة شعره أو بنزارة الشعر على غير المعهود فى سائر الناس.. ويكثر بين العبقريين من كل طراز جيشان الشعور وفرط الحس وغرابة الاستجابة للطوارئ، فيكون فيهم من تفرط سورته كما يكون فيهم من يفرط هدوءه، ولم على الجملة ولع بعالم الغيب وخفايا الأسرار على نحو يلحظ تارة فى الزكانة والفراسة، وتارة فى النظر على البعد، وتارة فى الحماسة الدينية أو فى الخشوع لله.

«ومهما يكن من الشك فى استقصاء هذه العلامات والمطابقة بين تفصيلاتها وبين الواقع فهى بلا ريب صادقة فى حالات، ومقاربة فى حالات، غير أهل فى كل حال

(١) عبد الرحمن نصر: عاهل الجزيرة، ص ١٢٤.

للتصديق التام ولا للنبذ التام، ولا سيما عندما تتفق فيها الظواهر والبواطن وتتلاقى فيها ملاحظات العلماء وشواهد العرف المأثورة»[1].

وفى عبد العزيز من هذه العلامات كثير. فقد ألف السرعة فى إنجاز الأعمال والتركيز، وإن له لذاكرة عجيبة حتى ليملى ما يشاء بسرعة على كاتبين اثنين فى وقت واحد، وموضعين مختلفين، ملقيا جملة لأحدهما، وأخرى لصاحبه، مقبلا على كاتب منهما، ومنثنيا عنه إلى زميله، وناظرا ريثما يفرغان من تدوين ما أملاه عليهما فى مسألة من المسائل أو باحثا مع وزير فى شأن من الشئون، وإن ظل كل شئ جليا مستقلا قائما بذاته فى أعماق خاطره فلا تزعجه المقاطعة، أو تفسد عليه تفكيره بل قد يتناول الموضوع الطارئ وسط هذا الإملاء المزدوج، فيبحثه ويقضى فيه، ثم يعود إلى ما كان يعالجه من النقطة التى وقف عندها، كأن لم يقاطعه شيء، ولاسبق إليه بموضوع جديد، وإن تفكيره ليظل ناشطا متفرغا للعمل، فى غير كلال أو جمود.

وكان يعيش فى الرياض وسط روعة بادية وجلال ظاهر، وقد بدأ يعيد كثيراً من نواحى قصره ويوسع فى رحابه ويمد فى رواقه، حتى جعله فى وقت قصير يشغل ثلث المدينة، وأقام من حوله سورا فخما ذا أبراج فى مختلف نواحيه وفوق مداخله الرحيبة، وجعل قاعة الاجتماع فيه فسيحة الجوانب، حتى لتتسع لثلاثة آلاف جالس، وقد صفت من حولها الأرائك، وفرشت أرضها بالبسط، وينهض سقفها فوق صفوف من الأعمدة البيض.

ويقيم فى القصر عدد كبير من الخدم وحرس ضخم يضم طائفة من العماليق بينما تتألف البقية من النجديين الذين عنى باختيارهم خاصة لهذا الغرض، وهم فى ثياب ناصعة، ومن فوقها أقبية مذهبة، ويحملون مسدسات وأسياف طوال النصال مفضضة المقابض وهم رائحون غداة فى تنفيذ أوامر المولى العظيم «ومشاويره».

ولايخلو فناء القصر لحظة من حشد كبير من الناس بين منبطحين على الثرى أو جالسين القرفصاء على المقاعد والدكك المسندة إلى الجدران، إذ تقوم تحت طبقات القصر المطابخ الواسعة التى اعتاد ابن سعود أن يطعم منها مئات الناس فى كل يوم ويقدم

(١) العقاد: عبقرية عمر، ص ١٩.

إليهم القصاع الملأى أرزا ولحما متصاعدة الدخان، ويطاف عليهم بالثريد والخبز واللبن المخضوض.

وتحت القصر أيضاً تقوم مخازن كبيرة للثياب، وقد ألف ابن سعود يوزع منها الأكسية على المحاويج، ويهدى منها إلى الأضياف، ولئن كان المتقشف فى عيشه، فقد كان الكريم المبذال للناس، حتى ليبلغ به الندى حد الإسراف. وقد احتج وزير من وزرائه يوما فكان جوابه: «لم يسبق لى ولأحد من أجدادى أن حفظنا صندوقا أو خزانة لجمع المال، «وما للمال المخزون من خير أو نفع، والا...، فخبرنى: ماذا أجدت على السلطان عبد الحميد ملايينه...؟؟»، «وقال يوما لأخر نحن نحصد ما نزرع، فإن أحسنت فى السلم والرخاء زرعا، حصدت الثمار فى أيام الحرب والشدائد والخطوب، وإنى فى السلم لا أتردد فى بذل شىء، حتى قبائى هذا - وانثنى يلمس القباء الذى عليه - لمن يحتاج إليه، وفى الحرب أسأل شعبى فيعطينى كل ما لديه».

وهو شديد الاعتزاز بعشيرته، الموفى لهم حقوقهم قبله، الحريص على تأدية واجباته لهم، وقد بنى يومئذ بأرملة أخيه سعد وتبنى أولاده كواجب عليه واعتاد أن يزور كل يوم جميع أفراد أهل بيته وأولادهم وأخته «نورة» وكانت أمه قد توفيت منذ بضع سنين، وألف الترداد على زوجاته فى الحرم والجلوس قليلا مع أبيه **الإمام عبد الرحمن** ليسأله النصيحة، فيما يعرض له من كبار الشئون.

واذا فرغ من عمله اليومى مبكرا فى بعض الأحيان خرج فى هدأة المساء وعلائل أنسامه على صهوة جواده فى رفقة حراسه، ومن حوله مواليه ، للرياضة بين البساتين وآكام النخيل وراء أسوار المدينة، فاذا ما احتواه الفضاء خارجها، وغادر الأفق الخانق المألوف فى داخلها، انطلق كالشاب المرح، والفتى المتوثب يلاعب أولاده، ويجاريهم، ويمازح الذين من حوله، ويداعب مرافقيه، ويرسل فى الفضاء ضحكات عالية، كلما انطلت على أحد منهم نكتة عملية، أو «فصل» لطيف من فصوله، ولا يغضب أو يستاء اذا قابلوه بالمثل، وبادلوه مزاحا بمزاح، وقد يشرع فى إعداد مباراة أو ينظم مبارزة أو منازلة غير جدية، مكثرا من القفز والعدو والركض، والصراخ، متحديا حراسه أو أخوته فى

مسابقته أو المباراة فى الرماية بالبنادق على بعض الأهداف، وإنه ليسوؤه أن يغلب، ويفرح ويسر اذا خرج منها الفائز الغالب كأنه الغلام المرح الطروب»[١].

وقد ذكرنا فى مستهل هذا الفصل أن «الشخصية الإسلامية» هى التى تجمع أخلاق الملك عبد العزيز وأفكاره فى أعطافها كما تسيطر على دوافعه وسوراته. وهنا نرى تقاربا بين شخصيته وبين طبيعة «الجندى المسلم» ذلك أن أهم الخصائص التى تتجمع لطبيعة الجندى المسلم فى صفتها المثلى؛ هى : الشجاعة والحزم والصراحة والخشونة والغيرة على الشرف والنجدة والنخوة والنظام والطاعة وتقدير الواجب والإيمان بالحق وحب الإنجاز فى حدود التبعات أو المسئوليات.

«هذه الخصائص قد تجمعت بعد ألوف السنين من تجارب الأمم فى تعبئة الجيوش حتى عرف الناس أخيرا أنها لازمة للجندى فى أمثل حالاته. فما من خاصة منها يستغنى عنها الجندى الكامل الذى تحلى بأجمل صفاته وألزمها لتحقيق وجوده»[٢].

ولسنا فى حاجة إلى التنقيب طويلا عن واحدة من هذه الخصائص جميعها فى نفس عبد العزيز، فهو الشجاع، الحازم، المطيع، الغيور على الشرف، السريع النجدة، المحب للنظام، المؤمن بالواجب والحق، الموكل بالإنجاز، العارف بالتبعات والمسئوليات.

«فالنظام مثلا ليس بالخلق الأصيل فى الجندى الباسل. فقد ينساق إليه بطبعه وقد يحتاج إلى تعوده، وإدمانه حتى يكسبه بطول المرانة»[٣].

لكن النظام كان خلقا أصيلا فى طبيعة الملك عبد العزيز، حتى فيما يتفرع عليه، يقول الشيخ إبراهيم السليمان: «إذا تصفحنا سيرة جلالته من أول يوم تربع فيه على عرش هذه المملكة إلى اليوم وإلى ما بعد اليوم، فسوف نجده فى هذه السيرة كلها شخصية واحدة ميزتها الأولى تقوى الله. فهو يخاف الله فى كل شىء، ولايتصرف ولا يحكم ولا يأمر ولاينهى إلا على أساس ما يشعر ويعتقد أنه هو الحق الذى يرضى الله، فمن المستحيل أن يتحكم الباطل أو الغرض والهوى فى تصرفاته وأوامره وإجراءاته وتلك مسألة لايختلف فيها اثنان.. ومن كان هذا شأنه فهو ملك عادل.

---

(١) عبد الرحمن نصر: المرجع السابق، ص ١٢٥، ١٢٦.

(٢) العقاد: عبقرية عمر، ص ٦٤.

(٣) المرجع نفسه، ص ٦٥.

وهو شجاع مقدام فيه كل صفات البطولة الممتازة، يقر له بذلك كل من عرفه. وحتى الذين كانو أعداءه وخصومه لم ينكروا أنه بطل مغوار. ولبطولته وشجاعته حكايات وقصص تعد من غرائب الخيال عندما نسمعها اليوم وإلى الآن.

وهو بعد ذلك وقبله كريم ولا مبالغة إذا قال القائل: إنه ممن يضرب بهم المثل فى الكرم، كالذين نسمع عنهم من أمثال حاتم الطائى وغيره وقصصه فى هذا الميدان أكثر وأعظم من أن يحصيها الإنسان، مهما كانت ذاكرته وإحاطته بتاريخ الملك عبد العزيز.

وتحدث بعد ذلك عن إرادته القوية، وعزمه الحديدى، وعما يأخذ به نفسه من نظام صارم دقيق فى كل لحظة من لحظات تاريخه الممتاز. وتحدث عن رأيه واعتداده بنفسه الذى يستمده من إيمانه بالله أولا وقبل كل شئ. وتحدث عن وفائه، وإحسانه، وحلمه وعن سائر مزاياه وصفاته المتعددة، فلست تجد فيها إلا ما يبهر ويعجب، ولذلك توفرت للملك عبد العزيز الشخصية التى لايسع كل انسان مهما كان عظيما أو مؤرخا، وعدوا، أو صديقا من الشرق أو من الغرب - إلا أن يطأطىء رأسه أمام جلال هذه الشخصية، وبأسها القوى فى كل مظهر من مظاهرها التى لايتكلف فيها شيئاً غير طبيعى وأصيل فيه أيا كان زائره ومحدثه بدون تفريق وليس ذلك إلا لأن شخصيته القوية فيهاما يغنيه عن أى مظهر يتصنعه ويلبسه عند اللزوم، كأغلب الشخصيات فى كل عصر وجيل.

مثل هذه الشخصية، كيف لاتعجز أقلام المؤرخين والمؤلفين والشعراء عن إعطائها حقها من البحث ومن التحليل، مهما كانت هذه الاقلام بارعة فى فنون الكلام».

يصف د. محمد حسين هيكل؛ الملك عبد العزيز؛ ويذهب الى أنه يمثل «عبقرية الصقر السياسية» في قوله: فى النصف الثانى من القرن التاسع عشر الميلادى بدأت فى البلاد العربية نهضة طامحة، غرضها أن تتسم البلاد العربية من مراقى الحضارة الحديثة ما يؤهله لها ماضيها المجيد، وثراؤها الطائل وملكات أبنائها المتوثبة إلى اسباب العزة والمجد.

فلما قامت الحرب العالمية الأولى، ونادى المنادون فيها بأنهم يريدون للعالم الحرية والسلام، زاد اندفاع الشعوب العربية فى سبيل نهضتها، وضاعفت هذه الشعوب

اندفاعها حين قضت تلك الحرب العالمية الأولى على الإمبراطورية العثمانية، وتضافرت العوامل السياسية والإجتماعية والإقتصادية على تغذية هذه النهضة.

وتاريخ البلاد العربية بعد يقظتها، جدير بالعناية، والتأمل الطويل فى تطور الحوادث تطورا صاغه الملك ابن سعود بحكمة وحزم، وحسن سياسة كان لها أثرها فى إقرار السلام فى شبه الجزيرة العربية، وفى توجيه النهضة فى تلك الأرجاء توجيها صالحا يبشر بخير النتائج.

وها هو ذا الملك عبد العزيز يقول مؤكدا ما نذهب إليه حول طبيعة الجندى المسلم «لست ملكا بمشيئة أجنبية، بل أنا ملك بمشيئة الله ثم بمشيئة العرب الذى اختارونى وبايعونى. على أنها ألقاب وأسماء! فما أنا إلا عبد العزيز، قال العرب إننى ملك، فرضيت قولهم وشكرت ثقتهم. وفى اليوم الذى يريدوننى زعيما لهم أعود إلى الصف وأحارب معهم بسيفى، كأصغر واحد فيهم دون أن ينال نفسى شىء من الغضاضة.

«أنا بينهم الآن لأقيم حكم القرآن والسنة».

ومن أقدم ما كُتب عن الملك عبد العزيز، كلمة الأمير «ضارى بن فهيد» من آل رشيد.. أملاها سنة ١٣٣١هـ (١٩١٣م)[١] قال فيها: «أما ابن سعود، عبد العزيز بن عبد الرحمن بن فيصل، فهو رجل شجاع صاحب سياسة فى قومه، وله تصرفات فى الحرب ومكائد أكثرها ينجح.

«وهو مديد القامة، حتى إنه لم يكن فى نجد اليوم أطول منه، وهو مع ذلك متناسب الأعضاء، حسن الوجه أبيض، وشعره أسود، خفيف اللحية والعارضين، وهو جواد محبوب، ذو رأفة بعشيرته ومماليكه».

وفى العام نفسه ١٣٣١هـ (١٩١٣م) كتب سليمان الدخيل[٢]: «صفا الجو لابن سعود، وأخذ بتوسيع نطاق ملكه. ومازال على هذه النية إلى أن احتل الأحساء والقطيف ودارين. فى هذه السنة (سنة ١٣٣١هـ) وهو اليوم مقيم فى نجد، ويلقب بالإمام. وهو أمير

---

(١) نبذة تاريخية عن نجد. نشرتها دار اليمامة للبحث والترجمة النشر سنة ١٣٨٦ (١٩٦٦م).

(٢) لغة العرب البغدادية ٣: ٢٩٨.

عادل كريم شجاع سياسى ذو رأى متين وفكر مصيب، وعلى جانب رفيع من العزم والحزم والدهاء.

ويقول د. هيكل(١): «ابن سعود، هو الذى مهّد للوحدة فى شبه الجزيرة. وهو الذى لفت أنظار المسلمين فى مختلف أنحاء العالم إلى البلاد العربية وأهلها، ولم يكن يفكّر فيها أحد من قبلُ إلا من جهة أنها البلاد المقدّسة».

كما يقول العقاد(٢): «ابن سعود، من أولئك الزعماء الذين يراهم المتفرسون المتوسمون فلا يحارون فى أسباب زعامتهم، ولا يجدون أنفسهم مضطرين أن يسألوا لماذا كان هؤلاء زعماء.. لأن الإيمان باستحقاق هؤلاء لمنزلة الزعامة فى أقوامهم. أسهل كثيراً من الشكّ فى ذلك الاستحقاق».

أما القائد عزيز على المصرى فيقول(٣): «اهتمام ابن سعود بالأسلحة الحديثة وشجاعته وقدرته على تحمّل المشاقّ، وبعده عن الترف، وذكاؤه، وصدق عزيمته، وسخاؤه، كل هذا يجيز لنا أن ننتظر منه العظائم».

ويقول **محمد أبو الفتح** سنة ١٩٣٠ «ليس ابن سعود من أعظم رجال القرن العشرين فحسب، بل هو من أعظم رجال التاريخ كله.

«ولست أنا الذى أصدر هذا الحكم، وإنما أصدره إنجليزى عرف عبد العزيز من زمان طويل، وتتبع سيره منذ كان فتى شريداً طريداً إلى أن أصبح الملك المطلق فى جزيرة العرب».

ويقول **عونى عبد الهادى** سنة ١٩٣٦(٤): «شيئان هائلان فى الجزيرة: الصحراء وابن سعود، ابن سعود عبارة عن عالَم (بفتح اللام) فى رجل ملم كل الإلمام بدخائل ملكه، مؤمن متدين إلى حد عظيم. قالوا: إن الذى يصغى إليه وهو يقرأ كتاب الله فى الليل لايملك نفسه عن البكاء».

---

(١) كتابه «فى منزل الوحى».

(٢) فى كتاب «صقر الجزيرة».

(٣) مذكرات أسعد داغر ١٩٧.

(٤) توفى فى القاهرة، سنة ١٣٩٠هـ (١٩٧٠م).

أما **جميل مردم**[1] فيقول «الملك ابن سعود، من الرجال الذين لايجود الزمن بمثلهم بسهولة. وقد انقضى خمسمائة عام كاملة من دون أن يأتى مثله».

ويؤكد د. عبد الرحمن عزام أن الملك عبد العزيز يمتاز فوق «خصال الشجاعة والكرم والعقل، بتبسطه فى الحديث، وعدم التكلّف فيه، والمؤانسة لزائرة. وهو فى جزيرة العرب ليس ملكاً فحسب، بل رئيس أسرة. ومن عجيب شأنه أن هذه الأسرة جمعت خصومه الأولين وأعداءه وأولياءه فى ساحته. وكان مما يعجبنى. وقد تشرفت بأن كنت ضيفاً له مرتين، أن أرى على مائدته أو فى الصيد معه، أولئك الذين قاتلهم أو قاتل آباءهم من قبل، يعاملون معاملة الاخوة والأبناء».

وقال **المازنى** سنة ١٩٣٦ : «سيخلّد التاريخ ذكر الملك الحكيم عبد العزيز الفيصل».

كما قال **خليل ثابت فى (المقطم)** ٧ يناير ١٩٣٩[2].

«إن الذين عرفوا الملك عبد العزيز، قبل الحرب الكبرى وبعدها، يشهدون بأنه أبدى من الشجاعة والعبقرية السياسية ما أبلغه بحق إلى المقام الذى صار إليه. ولم يكسب هذا المقام بشجاعته ومقدرته العبقرية وحدهما، بل أبدى من المقدرة الإدارية وتنظيم الأحكام ما مكّنه من تحقيق إصلاح كبير فى بلاد حرمت أسباب الثروة والعلم، واشتهرت بما يضطرم فيها من نيران الحقد والمنافسة. فعرف هذا الملك كيف يسوسها، ويوفق بين نزعات أهلها، ويلطّف من الطباع».

وتأسيسا على هذا الفهم، يتضح لنا أن **صوره البناء الحضارى فى المملكة العربية السعودية، والتى انطبعت فى مرآة الفكر العالمى** من خلال شخصية الملك عبد العزيز، تؤكد لنا أن وحدة المملكة العربية السعودية هى بحق - كما يقول **خادم الحرمين الملك فهد بن عبد العزيز** حفظه الله - أول وحدة فى التاريخ العربى الحديث». وحسبنا هذا المعنى حين نتناول فى هذا الكتاب الطابع العام للأمة؛ وصورتها فى أذهان الآخرين؛ وهى صورة يحددها لنا **خادم الحرمين الملك فهدبن عبد العزيز** فى سياق حديثه عن مناقب الوالد الموحد **الملك عبد العزيز** مستلهما ما

(١) توفى فى القاهرة سنة ١٣٧٩هـ (١٩٦٠) ودفن بدمشق.

(٢) توفى فى القاهرة سنة ١٣٨٣هـ (١٩٦٤م)

كان يتطلع إليه لتقدم البلاد ورقيها. وهى الركائز التى تقوم عليها صورة الطابع العام للشخصية الإسلامية، وفى مقدمتها: تطبيق الشريعة الإسلامية؛ والتى كانت أولى أولويات **الملك عبد العزيز**؛ والمسيرة التنموية التى بدأت من توحيد المملكة وظلت شاغلا لجميع قادة المملكة؛ وهى الركائز التى نثبتها فى هذا الكتاب من خلال حديث خادم الحرمين الشريفيين **الملك فهد بن عبد العزيز** حفظه الله.

إذ أدلى خادم الحرمين الشريفين **الملك فهد بن عبد العزيز** حفظه الله بحديث مطول لوكالة الأنباء السعودية بمناسبة ذكرى اليوم الوطنى للمملكة العربية السعودية بحضور معالى وزير الإعلام الدكتور فؤاد بن عبد السلام الفارسى.

وفيما يلى نص الحديث الذى أجراه الأستاذ **بدر بن أحمد كريم** المدير العام للوكالة:

مولاى خادم الحرمين الشريفين.. فى هذا اليوم المبارك الذى نستعيد فيه ذكرى يومنا الوطنى فإن المواطن يشعر بأحاسيس تعيد إلى ذهنه معنى هذا اليوم ودلالاته.

* هل تتفضلون بالإعراب عن هذه الأحاسيس.

** بكل بساطة أقول إن شعورى وأحاسيسى فى يومنا الوطنى هو شعور وأحاسيس كل مواطن يقدر معنى هذا اليوم ودلالاته ويستلهم منه العزم على الحفاظ على المكتسبات التى توِّجت بتوحيد المناطق والأقاليم التى تتألف منها المملكة العربية السعودية، والمضى قدماً فى طريق التقدم والتطور والازدهار. وهو ما تحقق بالفعل بفضل عون رب العزة والجلال وما أفاء الله به على هذا الوطن من نعم وخيرات لاتعد ولاتحصى، لقد كانت وحدة مناطق المملكة العربية السعودية أول وحدة حقيقية فى التاريخ العربى الحديث.

وفى هذا اليوم يجب علينا الحمد والشكر لله سبحانه وتعالى الذى جعل من هذه الدولة ماهى عليه من تقدم وتطور ومن مركز دولى متميز، وما تقوم به من خدمة الحرمين الشريفين ورعاية ملايين الحجاج الذين يفدون إليها فى الأيام المعلومات من كل عام وكذلك المعتمرين والزائرين الذين يفدون على مدار العام.

* مولاى خادم الحرمين الشريفين.. هناك إجماع بين كل من كتبوا أو تحدثوا عن

جلالة موحد هذا الملك الشامخ **الملك عبد العزيز**، على أنه كان يتصف بصفات نادرة كان لها بتوفيق الله دورها فى الإنجازات التى حققها جلالته رحمه الله.

** إن المجال لايتسع لتعداد مناقب **الملك عبد العزيز** الفذة وصفاته الفريدة التى لفتت انتباه الباحثين المنصفين، ولذا أكتفى بايراد أبرز مناقب الملك عبد العزيز وصفاته وهى : إيمانه المطلق بالله تعالى. وهو إيمان يرجو العون من الله ويعتمد عليه فى كل شؤونه. وفى جميع الخطابات والكلمات التى تحدث بها رحمه الله نجد هذه الحقيقة واضحة وساطعة وهى تفسر فى (رأيى) كل عمل أنجزه وكل تصرف أخذ به، فمن منطلق هذا الإيمان نجد أن من الأولويات التى أولاها اهتمامه منذ بدء تأسيس المملكة إقامة شرع الله وذلك بتطبيق الشريعة الإسلامية السمحة.

وكان هذا هو أول وأهم ما وجه الملك عبد العزيز عنايته له وهو الأساس الذى قام عليه بنيان المملكة منذ توحيدها، بعد هذا نجد أن من أهم صفات **الملك عبد العزيز** الحكمة، وهى حكمة فطرية كانت من أهم العوامل فى توجيه خطواته.

وماذا أقول أيضاً عن مناقب **الملك عبد العزيز** وصفاته.. فمع الإيمان ثم الحكمة نجد الشجاعة وقوة الإرادة والصبر والقدرة على الاحتمال.. والحلم والكرم وإضافة إلى ذلك فقد كان قلبه دوماً يخفق محبة وعطفا على سائر أبناء وطنه. وكثيراً ما كان يقول إنه يعتبر الكبير أباً والأوسط أخاً والصغير ابناً، وهذه الرؤية لاتغيب عن بالى أبداً وأبذل الجهد لكى أقتفى أثرها وأسير على خطاها فى مختلف مواقع المسؤوليات التى أنيطت بى.

* وأنتم يا مولاى تتحدثون الآن عن **الملك عبد العزيز** فما هو مدى تأثركم بشخصيته وأسلوب تصرفاته؟

** لقد كان جلالة **الملك عبد العزيز** بتوفيق الله المثل الأعلى والقدوة الحسنة. ورغم صغر سنى نسبياً إذ ذاك فقد كنت مهتما بتتبع كل ما يصدر عنه من القول أوالفعل، ومن هنا فإن تأثرى بشخصيته كان تأثرا تاما وعميقاً.

* وماذا يا مولاى عن طريقته فى التعامل مع أبنائه؟

**كانت طريقة مثالية فى التعامل معهم فقد كان يجمع إلى جانب الحزم فى تربيتهم رقة القلب والعطف والحنان.

* المطلع على تاريخ المملكة العربية السعودية يرى أن المسيرة التنموية بدأت منذ عهد جلالة **الملك عبد العزيز** نود أن نسمع من مولاى عن هذه المسيرة؟

** هذه حقيقة تاريخية ثابتة.. فلقد كان من المزايا التى اتصف بها الملك عبد العزيز رحمه الله أنه كان رجل دولة موهوبا رغم الظروف القاسية التى مرت به.

وهنا كثير من المشروعات التنموية التى نفذها جلالته فى حينها رغم قلة موارد البلاد.. هناك على سبيل المثال اهتمامه بوسائل الاتصال والمواصلات فى ضوء المساحات الشاسعة التى تتألف منها المملكة العربية السعودية. لقد أدخل الهاتف السلكى واللاسلكى لهذا الغرض وكانت تلك أول مرة تدخل فيها هذه الوسائل لشبه الجزيرة العربية.

وأدخل الطائرات كوسيلة للمواصلات الداخلية، وأصر على تنفيذ مشروع الخط الحديدى الذى يصل ما بين المنطقتين الشرقية والوسطى. وكانت هناك صعوبات فنية فى تنفيذ هذا المشروع بحكم أن الخط سيمتد عبر أراضى صحراوية ذات كثبان رملية عاتية، ولكنه تمسك برغبته فى إنشاء الخط وتحقق ذلك بالفعل. ولاننسى أيضاً إيصال مياه عين العزيزية من وادى فاطمة إلى جدة التى كانت تعانى من شح المياه، وأيضاً تنفيذ بعض المشروعات الزراعية. وبالاضافة إلى ذلك مجانية التعليم ومجانية الرعاية الصحية ومشروع توطين أبناء البادية فى الهجر. وفوق هذا كله عمارة وتوسعة الحرمين الشريفين.

إننا وبعد مرور أربعين عاماً ونيفاً على غياب الوالد الموحد نستلهم ما كان يتطلق إليه من تقدم ورقى لبلاده، ولا يغيب عن الذهن أن المسيرة التنموية بدأت فى عهد جلالة **الملك عبد العزيز** وموارد الدولة قليلة وشحيحة، ومن هنا تبدو لنا قيمة الإنجازات التى تحققت فالتنمية رسالة حملتها القيادات السعودية تنفيذا لتطلعات المليك الموحد عبر المؤسسات التعليمية.

* هذا يعنى يا مولاى أنكم شخصيا تجنون اليوم ثمار الغرس الذى غرستموه إذ ذاك عندما توليتم بل أسستم وزارة المعارف.

** سأقول شيئا قد لا يعرفه الكثيرون. ففى العام ١٣٧٣ الهجرى الذى يصادف

العام ١٩٥٣ الميلادى أصدر الملك عبد العزيز مرسوما ملكياً بإنشاء مجلس للوزراء، ولكنه طيب الله ثراه توفى قبل تشكيل المجلس.

وفى عهد جلالة **الملك سعود** رحمه الله، شكل أول مجلس للوزراء، وكان يتضمن استحداث وزارات جديدة تلبية لمتطلبات الحاجة، بحيث أصبح عدد الوزارات إذ ذاك تسع وزارات. وكانت وزارة المعارف هى إحدى الوزارات المستحدثة. وعندما اجتمعنا والملك سعود والملك فيصل رحمهما الله وعدد من الإخوة لتشكيل أول مجلس للوزراء قلت له: إذا كان لنا أن نتطلع إلى غد أفضل وإلى وطن أرقى وإلى مستقبل أحسن فإن ذلك لايتم ولن يتم إلا عن طريق نشر العلم والتعليم، المبنيين على أساس من العقيدة الإسلامية السمحة. ولذا فإننى أرغب فى تولى وزارة المعارف.. وهكذا كان الأمر الذى لايعرفه كثيرون أننى أنا الذى طلبت أن أتولى وزارة المعارف.

إننى وأنا أتطلع إلى السنوات التى مرت منذ ذلك التاريخ وحتى اليوم - أبصر ضخامة الإنجاز الذى تحقق عبر وزارة المعارف ومن تولاها بعدى من الوزراء. كانت لدينا بالتحديد ثلاث وأربعون مدرسة ابتدائية وأربع مدارس ثانوية ومدرسة تحضير البعثات والمعهد العلمى السعودى، وكان التحدى الكبير الذى واجهناه هو نشر العلم والتعليم وفى جميع أنحاء المملكة دون استثناء.

وكان إنشاء جامعة سعودية هو شغلى الشاغل.. وكما قلت مراراً فى السابق فإننى أعتبر السنوات السبع التى قضيتها فى وزارة المعارف من أجمل وأعز أيام حياتى ومازلت أذكرها بالشوق والحنين، وأن أسعد أيامى عندما أجد رجال العلم والتعليم من حولى أستمع إليهم وأناقشهم لأتعرف على مالديهم من أفكار، فاليوم ومن فضل الله تعالى أصبحت لدينا سبع جامعات أنشئت جميعها على أرقى الأسس التعليمية والتقنية وأكثر من ستة عشر ألف مدرسة من مدارس التعليم العام وفى هذه المدارس نحو أربعة ملايين من أبنائنا وبناتنا يتلقون التعليم العام بمختلف مراحله.

* النهضة التعليمية الكبيرة التى تمت هى - يا مولاى - جزء من نهضة شملت كل مرافق الحياة فى المملكة العربية السعودية.. فكيف تم ذلك؟

** هذا حديث طويل.. طويل جدا.. على أنه يمكن القول إن المسيرة التنموية بدأت منذ توحيد المملكة العربية السعودية. وظلت هذه المسيرة شاغلا لجميع القادة الذين تعاقبوا على سدة المسئولية منذ عهد **الملك العزيز** وحتى الوقت الحاضر.. ومن طبائع الأمور أن المشروع التنموى أى مشروع حين يوضع فى قالبه العلمى والتقنى فإن تنفيذه ونتائجه تكون أفضل.

ومنذ العام ١٣٩٠ هـ والمملكة العربية السعودية تأخذ بالتخطيط التنموى عبر الخطط الخمسية الخمس التى نفذتها حتى الآن فضلا عن الخطة السادسة التى هى رهن التنفيذ.

ومن هنا فإن الخطوات التنموية باتت تعتمد على الإحصاءات والمعلومات والحصر الشامل لمتطلبات كل مشروع، ولقد رافقت هذه المسيرة منذ بدايتها وتابعت الصعوبات والمشكلات التى لاتحصى عند تنفيذ كل مشروع بل حتى عند دراسته وتخطيطه، وأنا شخصياً لا أحب أنصاف الحلول ولا الحلول القاصرة والعاجزة وبالمقابل فإننى حين أدرس أحد المشروعات فإننى أتطلع إلى تنفيذه بأقصى ما يمكن من الإتقان والتكامل كما أننى آخذ فى الاعتبار أن يؤدى المشروع مهمته إلى أطول مدة ممكنة.

ومن فضل الله تعالى علينا أن وفقنا إلى إنجاز ما تحقق حتى الآن فى مختلف مرافق حياتنا مما يعتبر سابقة حضارية فريدة، لقد حققنا بعون الله فى ربع قرن ما عجز عنه الكثيرون، من كان يتصور أن تشرب الرياض والمدينة المنورة ومكة المكرمة وأبها - وهى مدن داخلية - من مياه الخلية العربى والبحر الأحمر المحلاة عبر إنشاءات هى قمة فى التقنية العصرية اجتازت مئات الكيلومترات متخطية سلاسل الجبال والأودية العميقة لتقدم الماء سائغاً عذباً لسكان تلك المدن؟

وفى تهامة كانت هناك منحدرات صخرية صلبة تفصل بين المنطلق الساحلية والمناطق الداخلية وكان اجتيازها متعذرا بل مستحيلا، ولهذا سماها الأهالى بالعقبات، لم يكن ممكنا الوصول إلى تلك القمم إلا بطائرات الهيلوكبتر، واليوم فالعقبات لم تعد عقبات بعد أن تخللتها الطرق الحديثة بأنفاقها وجسورها فاتصل الساحل بالداخل فى تهامة لأول مرة فى تاريخ المملكة.

وهذه العقبات نفذت مشروعاتها بأعلى مستوى من الدقة والإتقان واضطر المخططون المنفذون إلى ابتكار حلول تقنية لعشرات المشكلات والصعوبات التى واجهتهم، حتى أمكن التنفيذ بذلك المستوى العالى. من كان يتصور فى تلك المدة القصيرة أن شرق المملكة وغربها مرورا بالمنطقة الوسطى يصبح وحدة تقنية واحدة فى الصناعات الهايدروكروبنية من خلال مدينة الجبيل الصناعية على ساحل الخليج العربى وينبع الصناعية على ساحل البحر الأحمر وبينهما الأنبوب العملاق المسمى (من الشرق إلى الغرب) الذى ينقل البترول الخام إلى ينبع الصناعية؟.

من كان يتصور أن تكتسى المدن السعودية جميعها حللا من العمران والحدائق والشوارع ومنشآت البنية الأساسية خلال مدة قصيرة من عمر الزمن؟ والقول نفسه ينطبق على كل مناحى الحياة: الطرق والجسور والأنفاق والمطارات والموانىء والمستشفيات ووسائل الاتصال والمؤسسات الاجتماعية والمصانع والأراضى الزراعية وتوسعة الحرمين الشريفين فى مكة المكرمة والمدينة المنورة.

إن ما تحقق تم بفضل الله سبحانه وتعالى ثم بتضافر جهود الدولة مع جهود المواطنين الذى كان لهم دورهم فى تطوير بلادهم بالشكل الذى نراه الآن، وبناء وطن عزيز كريم متطور متحضر أخذ بأحدث معطيات الحضارة الحديثة.

* الحديث عن الإنجازات التنموية يؤدى إلى الحديث عن الاقتصاد السعودى الذى هو الأساس الذى قامت عليه تلك الإنجازات، فماذا يمكن أن تتفضلوا بالحديث عنه حول الاقتصاد السعودى؟

** بادىء الأمر أود أن أقول إنه لا توجد اليوم دولة على وجه الأرض ليس لديها مشكلات أو صعوبات اقتصادية، ومع هذا فقد حرصنا على ثلاثة أمور جوهرية يمكن اعتبارها أساس سياستنا الاقتصادية.

الأول: هو ألا يتأثر المواطن بأى شكل من الأشكال بتداعيات الصعوبات الاقتصادية وأن نحفظ له مكتسباته.

الثانى: قيام الدولة بالتزاماتها تجاه المتعاملين معها من المؤسسات وشركات المقاولات ومنفذى المشروعات.

الثالث: استمرار العملية التنموية بلا توقف ورصد الاعتمادات اللازمة حسبما جاء فى الخطط التنموية، ولذلك يمكن القول إن الاقتصاد السعودى - ولله الحمد - قوى وله أسس متينة وراسخة.

* الآن وبعد ما تفضلتم به من تغطية لأهم الشئون الداخلية.. هل تتكرمون - يامولاى - بالحديث عن الشئون الخارجية؟

** أود أولاً أن أنوه عن أسس سياستنا الخارجية التى أرسى دعائهما **الملك عبد العزيز** رحمه الله، وسار عليها من خلفه من أبنائه على سدة المسئولية.. أول تلك الأسس أننا مع إخواننا المسلمين دولاً وشعوباً فى قضاياهم نشاركهم فى السراء والضراء دون التدخل فى شئونهم. وتاريخ المملكة منذ تأسيسها يشهد على هذه الحقيقة.

فعندما اجتمع **الملك عبد العزيز** والرئيس الأمريكى **روزفلت** فى لقائهما التاريخى عام ١٩٤٥ الميلادى استأثرت **قضية فلسطين وقية استقلال سوريا ولبنان** بالجانب الأكبر من حديث الملك عبد العزيز، يومها قال روزفلت جملته الشهيرة: لقد أحطت خلال ساعتين من حديثى مع (ابن سعود) بما لم أكن أعرفه طول حياتى عن القضية الفلسطينية... وكما هو معروف فإن الرئيس الأمريكى تعهد للملك عبد العزيز بألا يتصرف بصفته رئيس السلطة التنفيذية الأمريكية بما يتعارض مع مصالح عرب فلسطين.

وتاريخ المملكة العربية السعودية فى دعم قضية الشعب الفلسطينى معروف للجميع ومن طبائع الأمور فى هذا الصدد أننا نريد للشعب الفلسطينى أن يعيش حراً عزيزاً على ترابه الوطنى . والقول نفسه ينطبق على مختلف القضايا الإسلامية والعربية التى قدمت لها المملكة العربية السعودية؛ العون والدعم بكل ما تستطيع، لا لهدف سوى خدمة الإسلام والمسلمين.

ثانى الأسس التى قامت وتقوم عليها سياستنا الخارجية الثابتة أننا لانتدخل فى الشئون الداخلية لأى دولة. وبالمقابل نرفض أى تدخل فى شئوننا. وقد قلت هذا مراراً من قبل وأكرره الآن.

ثالث أسس سياستنا الخارجية هو أن نعمل مع المجموعة الدولية فيما يعود بالخير على المجتمع الإنسانى كله. إننا مع قضايا الحق والعدل أينما كانت. ونحن نشطون فى قيامنا بمسئولياتنا فى المنظمات الدولية المنشأة لمختلف الأغراض الإنسانية وحفظ السلام، وفى مقدمتها - بطبيعة الحال فى الأمم المتحدة وما يتفرع عنها من هيئات ومنظمات، ولنا مساهمات مالية مرموقة مع جميع المؤسسات الدولية والإقليمية بما يعود على المجتمع الدولى بالخير والرفاه، وأبناؤنا المؤهلون بالعلم والخبرة على مستوى رفيع يشغلون مناصب قيادية وتنفيذية فى كثير من تلك المؤسسات الدولية.

لقد كنا وما نزال وسنظل نتطلع - بإذن الله - إلى عالم يسوده السلام وترفرف عليه الطمأنينة لبنى البشر جميعا وكفى ما عانى ويعانى العالم منه من سفك الدماء بسبب الإرهاب والحروب والنزاعات المسلحة.

* هناك يامولاى من يتحدثون فى الخارج عما يسمونه حقوق الإنسان فى المملكة العربية السعودية؟

** حقوق الإنسان عندنا مصونة ومحترمة بقوة الشريعة الإلهية، رب العزة والجلال كرم الإنسان بما أفاء عليه من نعم خصه بها دون سائر المخلوقات. وفى القرآن الكريم كثير من الآيات التى تثبت هذه الحقيقة وكذلك السنة النبوية المطهرة.

* هل تتفضلون - يامولاى - بالحديث عن موضوع العلاقات العربية فى الوقت الراهن؟

** نحن كما يعرف الجميع دعاة إخاء وتضامن وتعاون بين الأشقاء العرب. كان هذا هدفنا ومايزال، وعلاقاتنا ولله الحمد على أحسن مايرام مع الأشقاء العرب، وفى اعتقادى أن دقة المرحلة التى تجتازها أمتنا تتطلب مزيداً من التضامن والتكاتف لنواجه التحديات القائمة، فالله أسأل أن يلهم الجميع الرشد والصواب.

* وماذا - يامولاى - عن التعاون الخليجى؟

التعاون الخليجى سائر فى طريقه المرسوم بخطى قوية وثابتة. وأنا شديد التفاؤل بمستقبل التعاون الخليجى.. وكذلك أتلقى بكثير من الغبطة والارتياح تنامى العلاقات

الاقتصادية والثقافية والاجتماعية بين أبناء دول مجلس التعاون، وذلك بناءً على ما هيأته مقررات المجلس الأعلى لدول الخليج العربية. وهذا هو أحد الأهداف الأساسية التى أقيم المجلس من أجلها.

* وأخيراً يامولاى - هل من كملة تتفضلون بتوجيهها إلى اخوانكم وأبنائكم شعب المملكة العربية السعودية بمناسبة هذا اليوم المبارك.. اليوم الوطني.

** إنى أتوجه فى كلمتى هذه إلى كل مواطن ومواطنة فى كل بقعة من بقاع الوطن العزيز آملاً من الجميع أن يحمدوا رب العزة والجلال على الدوام إزاء ما أفاء به علينا من نعمه وخيراته التى لاتحصى، وأن نعمل متكاتفين متعاضدين بروح الفريق الواحد لمواصلة بناء الوطن فى شتى المجالات؛ والذود عنه بكل غال ونفيس، والسير قدما على الطريق المرسوم نحو مزيد من الرفعة ومزيد من التقدم ومزيد من الازدهار.

وفى هذه المناسبة الغالية أسأل الله جل وعلا أن يديم على بلادنا الغالية نعمه الباطنة والظاهرة، وأن يوفقنا جميعاً إلى تحقيق كل الأهداف الخيرة لما فيه خدمة دين الله الحنيف وخدمة بلادنا الغالية وأبنائها الأعزاء».

obeikandl.com